الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس – المدية –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

بنية الشخصية في رواية "تشرفت برحيلك"

لـ "فيروز رشام"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- أسماء نشادي
- أحلام شهبة مونة

إشراف الدكتور:

محمد بن مرزوقة

أعضاء اللجنة المناقشة

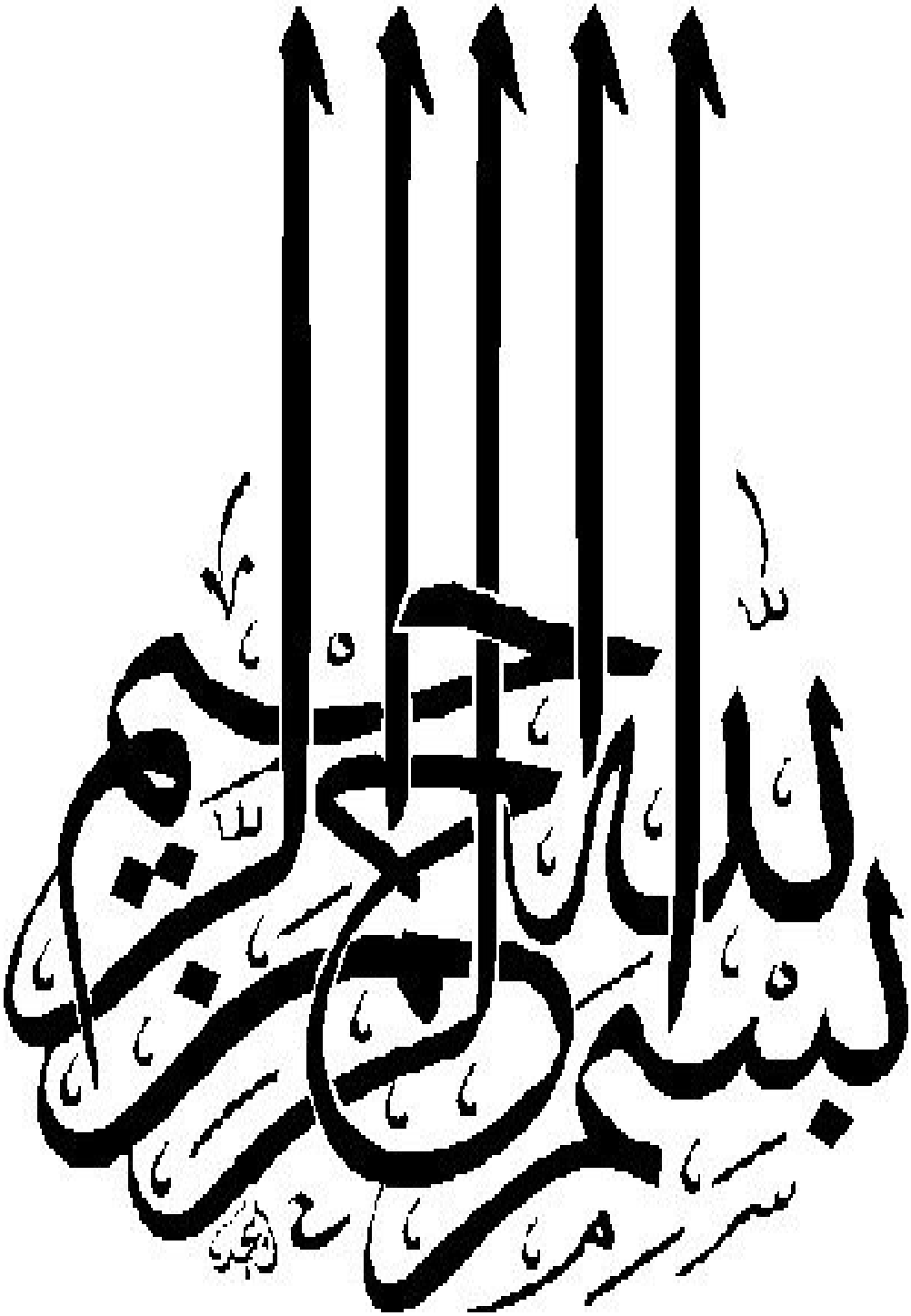
الأستاذ: زكريا رحماني رئيسا

الأستاذ: محمد بن مرزوقة مشرفا

الأستاذ: فوزي لدزر مناقشا

السنة الجامعية: 2022-2021م

1443 – 1444هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا، اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلا

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت

اللهم إني لجأت إليك لأطلب أن توفقني في هذا النجاح، لتذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ اعتزازي بنفسي

اللهم إذا أسأت فامنحني شجاعة الاعتذار وامنحني شجاعة العفو إذا أساء الناس إلي.

شكر وعرفان:

قبل أن نشكر العباد فنشكر رب العباد، الحمد لله رب العالمين الذي أتم نعمته علينا فأنار طريقنا وسهل دربنا نحو الهدف المرجو، فلنشكره شكرا كثيرا ونحمده حمدا يليق بمقامه الجليل

نتقدم بأصدق وأخلص عبارات الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف " محمد بن مرزوقة " المرشد الأول في إنجاز هذا البحث

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الخالص لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث

وإخراجه إلى الوجود

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي التي أستمد منها طاقة التفاؤل والأمل، أطال الله في عمرها وأدام الصحة والعافية عليها.

إلى أبي الذي رباني وعلمني كيف أعيش متواضعة وقنوعة وألا أكون ظالمة، أهدي بروحه هذا العمل، رحمك الله أسكنك فسيح جناته أنت وعمتي فاطمة.

إلى جدي وجدتي الزهرة وعبدالقادر أدام الله الصحة والعافية عليهما وأطال في عمرهما، وإلى جدي وجدتي عائشة وعلي رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

إلى عمي محمد وخالتي نادية، وأنيس الذي أتمنى له كل التوفيق والنجاح في شهادة البكالوريا وإلى أخيه الصغير عبد الله الذي هو أخي أيضا، وإلى أختي رميساء ومريم، وإلى ابن أخي الصغير محمد وتاج الدين وإسحاق، وعبد المالك.

ولا أنسى رفيقات دربي وحبيبات قلبي وأخواتي: أسماء وفتحية وهاجر، أهديكن هذا العمل وأتمنى لكن التوفيق في حياتكن.

وأخيرا أقدم هذا العمل إلى كل أساتذتي الذين ساهموا في وصولي إلى هنا من الابتدائي إلى الجامعة، أتمنى لكم كل الخير والتوفيق وأخص بالذكر الأستاذ عبد الرحمان مدرسي في الابتدائي، وأساتذتي (أستاذتي يونسي، وسمراني، وأستاذ الرياضة سمراني من المتوسطة) وأساتذتي (حموش، صالحي، قبور، عراب)، وأساتذتي (العربي حسين، كوشنان، بن ربيعي، يوسف رحماني، بوزواوي، سرير من الجامعة).

شكرا لكم يا عائلتي الكبيرة

أحـــلام

إهداء

أولا لك الحمد ربي على كثير فضلك وجميل عطائك وجودك، الحمد لله ربي ومهما حمدنا فلن نستوفي حمدك، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إلى ذلك الحزن اللامتناهي من الحب والرقة والحنان، إلى التي بحنانها ارتويت، وبدفئها احتميت، وبنورها اهتديت، وببصرها اقتديت، ولحقها ما وفيت، إلى من يشتهي اللسان نطقها وترفرف العين من وحشتها، والتي كانت تتمنى رؤيتي وأنا أحقق هذا النجاح، وشاء الله أن يأتي هذا اليوم، أهدي هذا العمل إلى أمي.

إلى درعي الذي به احتميت، وفي الحياة به اقتديت، والذي شق لي بحر العلم والتعلم، إلى من اخترقت شموعه ليضيء لنا درب النجاح، ركيزة عمري وصدر أماني وكبريائي وكرامتي أبي أطال الله في عمره.

إلى من يذكرهم القلب قبل أن يكتب القلم، إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها تحت السقف الواحد، إخوتي: أخي محمد، وأختي إكرام، ونسرين.

إلى كل من يحمل لقب "نشادي" وعلى رأسهم المقربين أعمامي، وإلى شمعة البيت وأنوارها عمتي فتيحة.

إلى كل من يحمل لقب "صيفي" وعلى رأسهم كل من أخوالي وخالاتي، وكل أولادهم وإلى أحسن من عرفني بهم القدر، صديقاتي ورفيقات دربي صديقتي أحلام، وصديقتي فتحية، وهن باقيات في القلب مدى الحياة إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم.

إلى بلدي الحبيب الجزائر، وإلى شعب فلسطين الثائر.

فافخر بعلم ولا تطلب به بدلا فالناس موتى وأهل العلم أحياء

أســـماء

مقدمة

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية الحديثة، لكونها تعالج مختلف الإشكاليات الاجتماعية والفكرية والثقافية المتشبعة من جهة، ولكونها أيضا وعاءً فنيا لمختلف الأجناس الأدبية المختلفة من جهة أخرى، وتعد الشخصية في الرواية عنصرا هاما، حيث تعتبر الشخصية أحد مكوناتها الأساسية، فإذا غابت الشخصية لا تفهم أحداث الرواية، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل، فالرواية تكمل الشخصية، والشخصية تكمل الرواية.

لقد اخترنا "بنية الشخصية في رواية" تشرفت برحيلك "لفيروز رشام" موضوعا للدراسة وما دفعنا على اختيار هذا الموضوع هو حبنا للرواية وشغفنا بها، وكذلك قراءتنا للرواية سابقا، مما جعلنا نحاول الكشف عن القيم الجمالية والفنية للرواية التي أثارت فضولنا وشدت انتباهنا من الوهلة الأولى باعتبارها أول عمل روائي لها، لان هذه الرواية حديثة، بالإضافة إلى ذلك أنها رواية شيقة، وأي شخص يقرأها ينبهر بجماليتها، وطريقة سردها للأحداث، فحاولنا التعمق أكثر في بواطن هذه الرواية ومعرفة اسرارها، وتفكيك شفراتها.

- وقد تمحورت إشكالية البحث في التساؤلات التالية:

- كيف تصرفت الروائية فيروز رشام في الشخصية؟ وما هي مختلف الطرق التي اعتمدتها في بنائها للشخصيات؟
- وكيف صنفت الروائية الشخصيات؟ هل كان تصنيفا موفقا؟ أم لا؟ وكيف درست الشخصيات من ناحية الابعاد؟
- وهل وفقت الروائية في ربطها لأحداث الرواية وتسلسلها الزمني؟

- للإجابة عن هذه التساؤلات وضحنا ذلك من خلال تركيزنا على دراسة الشخصيات وفق المنهج البنيوي، مع استعانتنا بالمنهج النفسي والإجتماعي في الرواية واعتمدنا على هذه الدراسة لكي تسهل علينا عملية البحث والإجابة عن هذه التساؤلات.

- اقتضت منا الدراسة تقسيم البحث إلى مدخل خصصناه للجانب النظري وأربعة فصول خصصناها للجانب التطبيقي، بالإضافة إلى خاتمة.

- في المدخل وسميناه بـ «مفهوم بنية الشخصية» تعرضنا من خلاله لمفهوم البنية لغة واصطلاحا، بعد ذلك عرفنا الشخصية كذلك لغة واصطلاحا بمفهومات متعددة، 1-من المنظور السيكولوجي، 2-من المنظور الاجتماعي، وختمناه بأهمية الشخصية (عند القدماء وعند المحدثين).

- واما الفصل الاول من الجانب التطبيقي الموسوم "البعد الجسمي للشخصيات الروائية في رواية تشرفت برحيلك فيروز رشام" الذي حاولنا فيه استجلاء أهم الشخصيات التي كانت بارزة في البعد الجسمي من ناحية المواصفات الخارجية للشخصيات في الرواية ومستنبطة من سلوكها وتصرفاتها.

- اما الفصل الثاني الموسوم "بالبعد النفسي للشخصيات الروائية" فقط قسمناه لمبحثين، في المبحث الأول وقد خصصناه للشخصية البارزة في هذا البعد، والمبحث الثاني والثالث فقد خصصناه لدراسة شخصية فاطمة وفؤاد عند سيغموند فرويد وفقا لقواعد علم النفس.

- أما الفصل الثالث الموسوم "بالبعد الاجتماعي للشخصيات الروائية" فقد خصصناه لكي نستعرض لكم اهم الظروف التي تعرضت لها الشخصيات الروائية خاصة أن المجتمع في ذلك الوقت كان يمر بفترة العشرية السوداء.

- والفصل الرابع الموسوم "بالبعد الإيديولوجي للشخصيات الروائية" لكي نحدد فيه أهم المعتقدات التي كانت سائدة في تلك الفترة، وأيضا أهم الصراعات الفكرية والاجتماعية والدينية...الخ.

- لننهي بخاتمة أوردنا فيها جل النتائج التي توصلنا اليها من خلال دراستنا للبحث لأنها بمثابة حوصلة شاملة لكل ما يتعلق بالبحث، بالإضافة إلى ملخص الرواية "تشرفت برحيلك لفيروز رشام".

اعتمدنا في بحثنا هذا على اهم المراجع التي سهلت علينا الولوج إلى أسرار النص الروائي ومعرفة أهم النقاط المهمة فيه مثل:

- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، لمحمد بوعزة.
- بنية الشكل الروائي، لحسن بحراوي.
- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، لعبد المالك مرتاض.
- بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، لحميد الحميداني.
- الأبعاد الأساسية للشخصية، للدكتور احمد محمد عبد الخالق.

فقد أضاءت لنا هذه المراجع الطريق في بحثنا لنفهمه أكثر، وبحثنا كأي بحث أكاديمي، لا يخلو من الصعوبات، فالباحث العلمي يواجه العديد من الصعوبات التي تقف عقبة في بحثه ومنها صعوباتنا في إيجاد المراجع والمصادر التي بداية عرقلت علينا إكمال بحثنا، بالإضافة إلى ضيق الوقت وكذا تعدد واختلاف طرائق التحليل.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف (محمد بن مرزوقة)، الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وبتوجيهاته التي أضاءت لنا الطريق أمامنا، كما كان عونا لنا في بداية بحثنا إلى نهايته، بالإضافة إلى كل الأساتذة الذين ساعدونا بتوجيهاتهم وإعطائنا كما هائلا من المعلومات، وأملنا أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، وأسأل الله العلي القدير صواب التفكير فهو سبحانه وتعالى الموفق وعليه نتوكل وبه نستعين.

الجانب النظري

مدخل

- مفهوم بنية الشخصية
- أهمية الشخصية

I. مفهوم بنية الشخصية

- **مفهوم البنية**

1- لغة:

نجد مفهوم البنية في لسان العرب الذي جاء تعريفها كالآتي:

"البنى: نقيض الهدم، بنى البنّاء البناء بنيا وبناء وبنى، مقصور، وبنيانا وبنية وبناية وابتناه وبناه.

والبناء: المبني، والجمع أبنية، وأبنيات، جمع الجمع، واستعمل أبو حنيفة البناء في السفن فقال يصف لوحا يجعله أصحاب المراكب في بناء السفن: إنه أصل البناء فيما لا ينمي كالحجر والطين ونحوه.

والبناء: مدبر البنيان وصانعه، فأما في قولهم في المثل: أبناؤها أجناؤها، فزعم أبو عبيد أن أبناء جمع بان كشاهد وأشهاد، وكذلك أجناؤها جمع جان، والبنية، والبنية: وما بنيته، وهو البنى والبنى، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا"[1]

كما وردت لفظة (بنى) في القرآن الكريم لقوله تعالى:

"الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء"[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، مجلد 1، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، (د. ط) 1119، ص 365.

[2] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، أمام جامعة الأزهر القاهرة، ط1، 2008، الآية 22، سورة البقرة.

نستنتج من تعريف البنية لغة: أن هذه اللفظة لها معاني ودلالات لغوية لها نفس المعنى، وتتجلى في معنى واحد وهو البناء، وعندما، نغوص في معناها سنكتشف الكثير من الدلالات التي توحي بأشياء كثيرة.

2- اصطلاحا:

وردت لفظة (بني) عند الجرجاني في (علم المعاني) إذ يقول:

"لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها على بعض"[1]

أي أن البنية على حساب قول الجرجاني لا قيمة للكلام، ولا يمكن أن يحدث ترتيب له إلا إذا كان الكلام مبنيا، وكل كلمة فيه مبنية على بعضها، يعني إذا لم يكن نظم في الكلام، لا يمكن أن يكون الكلام متوازنا.

ويعرف (جيرالد برنس) البنية على أنها "شبكة العلاقات التي تتولد من العناصر المختلفة للكل بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل، وإذا عرفنا السرد مثلا بأنه يتألف من القصة والخطاب فإن البنية ستكون شبكة العلاقات الحاصلة بين القصة والخطاب والقصة والسرد والخطاب والسرد"[2]

1) مفهوم الشخصية:

الشخصية! هذا العالم المعقد الشديد التركيب المتباين التنوع... تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطباع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود، حاول بالزاك أن يجعل من رواياته مرآة تعكس كل طبائع الناس الذين يشكلون المجتمع الذي يكتب له، وعنه في الوقت ذاته: بما

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط 3، 1992، ص 55.

[2] جيرالد براس، المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2003، ص 224.

كان فيهم من عيوب، وبما كان فيهم من عواطف، وبما كان في قلوبهم من أحقاد، وبما كان في نفوسهم من شرور، وبما كانوا يكابدونه من آلام وأهوال في حياتهم اليومية التي كانت، ولم تبرح، تفرض وجود كثير من العلاقات، كان الروائي التقليدي يلهث وراء الشخصيات ذات الطبائع الخاصة لطي يبلورها في عمله الروائي، فتكون صورة مصغرة للعالم الواقعي، لقد كانوا يعتقدون أنهم قادرون على منافسة المؤرخين الذين يكتبون عن واقع الناس، ووقائعهم أيضا، من حيث العلاقات العامة على اختلافها فيما بينهم بما يكتنفها من حسد وحقد، وطموح وتنافس، ولكن في جفاف الأرقام وفجاجة الأحداث"[1].

أ- لغة:

شخص الشخص: جماعة شخص الانسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، وقول عمر بن أبي ربيعة: فكان مجني، دون ما كنت أتقي، ثلاث شخوص: كاعبان ومعصر.

فإنه أثبت الشخص أراد به المرأة، والشخص: سواد الانسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخص، وكل شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه وفي الحديث: "لا شخص أغير من الله"، الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص، وقد جاء في رواية أخرى: لا شيء أغير من الله، وقيل: معناه لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله. والشخيص: العظيم الشخص، والأنثى شخيصة، والاسم الشخاصة، قال ابن سيده: ولم أسمع له بفعل فأقول إن الشخاصة مصدر، وقد شخصت شخاصة. أبو زيد: رجل شخيص إذا كان سيدا، وقيل: شخيص إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بين الشخاصة. وشخص الرجل، بالضم، فهو شخيص أي جسيم. وشخص، بالفتح، شخوصا: ارتفع. ابن سيده: وشخص الشيء يشخص شخوصا

[1] د. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 1998، ص 73-74.

انتبر، وشخص الجرح ورم. والشخوص: ضد الهبوط. وشخص السهم يشخص شخوصا، فهو شاخص: علا الهدف، أنشد ثعلب:

لها أسهم لا قاصرات عن الحشا ولا شاخصات عن فؤادي طوالع

وأشخصه صاحبه: علاه الهدف .ابن شميل: لشد ما شخص سهمك وقحز سهمك إذا طمح في السماء، وقد أشخصه الرامي إشخاصا، وأنشد:

ولا قاصرات عن فؤادي شواخص[1]

وأشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه، وهو سهم شاخص. والشخوص: السير من بلد إلى بلد. وقد شخص يشخص شخوصا وأشخصته أنا وشخص من بلد إلى بلد شخوصا أي ذهب. وقولهم: نحن على سفر قد أشخصنا أي حان شخوصنا. وأشخص فلان بفلان وأشخس به إذا اغتابه. وشخص الرجل ببصره عند الموت يشخص شخوصا: رفعه فلم يطرف، مشتق من ذلك. شمر: يقال شخص الرجل بصره فشخص البصر نفسه إذا سما وطمح وشصا كل ذلك مثل الشخوص. وشخص بصر فلان، فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف. وفي حديث ذكر الميت إذا شخص بصره، شخوص البصر ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه.

وفرس شاخص الطرف: طامحه، وشاخص العظام: مشرفها. وشخص به: أتى إليه أمر يقلقه. وفي حديث قيلة: إن صاحبها استقطع النبي صلى الله عليه وسلم، الدهناء فأقطعه إياها، قالت: فشخص بي. يقال للرجل إذا أتاه ما يقلقه: قد شخص به كأنه رفع من الأرض لقلقه وانزعاجه، ومنه شخوص المسافر خروجه عن منزله. وشخصت الكلمة في الفم تشخص إذا لم يقدر على خفض صوته بها. التهذيب: وشخصت الكلمة في الفم نحو

[1] ابن منظور لسان العرب، المجلد 7، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 6، 1863، ص 36.

الحنك الأعلى، وربما كان ذلك في الرجل خلقة أي يشخص صوته لا يقدر على خفضه[1]. وشخص عن أهله يشخص شخوصا: ذهب. وشخص إليهم: رجع، وأشخصه هو. وفي حديث عثمان: إنما يقصر الصلاة من كان شاخصا أو بحضرة عدو أي مسافرا. والشاخص: الذي لا يغب الغزو، عن ابن الأعرابي، وأنشد:

أما تريني اليوم ثلبا شاخصا

الثلب: المسن. وفي حديث أبي أيوب: فلم يزل شاخصا في سبيل الله.

وبنو شخيص: بطين، قال ابن سيده: أحسبهم انقرضوا. وشخصان: موضع، قال الحرث بن حلزة:

أوقدتها بين العقيق فشخصيـ ن بعود، كما يلوح الضياء

وكلام متشاخص ومتشاخس أي متفاوت.

أي أن كل شخص يحمل الشخصية خاصة به وتميزه عن غيره.

- وكذلك وردت في معجم (محيط المحيط): شخص الشيء عينه وميزه عما سواه، ومنه تشخيص الأمراض عند الأطباء، أي تعينها ومركزها، وأشخصه أزعجه، وأشخص فلان هان سيره وذهابه، وعند الأصمعي: (أن الشخص إنما يستعمل في بدن الانسان إن كان قائما انتهى)[2].

▪ نستنتج أن الشخصية هي صفات تميز الشخص عن غيره أي أن لكل شخصية ميزة عن الآخر، والشخصية في الأدب هي كل ما تقوم به الشخصيات من أفعال وسلوكات من أجل سيرورة العمل السردي.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 36.

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د، ط)، 1998، ص 455.

ب- اصطلاحا:

يمثل مفهوم الشخصية عنصرا محوريا في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور رواية بدون شخصيات، و "من ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية"، ومع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة، حيث تختلف المقاربات والنظريات حول مفهوم الشخصية وتصل إلى حد التضارب والتناقض، ففي النظريات السيكولوجية تتخذ الشخصية جوهرا سيكولوجيا، وتصير فردا، شخصا، أي ببساطة "كائنا إنسانيا" وفي المنظور الاجتماعي تتحول الشخصية إلى نمط اجتماعي يعبر عن واقع طبقي، ويعكس وعيا إيديولوجي، بخلاف ذلك لا يعامل التحليل البنيوي الشخصية باعتبارها جوهرا سيكولوجيا، ولا نمطا اجتماعيا، وإنما باعتبارها علامة يتشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد وليس خارجه، إن التحليل البنيوي وهو يجرد الشخصية من جوهرها السيكولوجي ومرجعها الاجتماعي لا يتعامل مع الشخصية بوصفها "كائنا" أي شخصا، وإنما بوصفها فاعلا ينجز دورا أو وظيفة في الحكاية، أي بحسب ما تعلمه ومن ثم يستبدل غريماس مفهوم الشخصيات بمفهوم العوامل[1].

الشخصية كائن خيالي، تبنى من خلال جمل تتلفظ بها هي، أو يتلفظ بها عنها.

مظاهر الشخصية:

تبنى الشخصية إطرادا زمن القراءة، من خلال الأفعال التي تقوم بها أو الصفات التي تصف بها نفسها، أو تسند لها من شخصيات أخرى أو من طرف السارد.

ويتم التمييز بين هذه الملفوظات بحسب طبيعة المعرفة (المعلومات) التي تقدمها عن الشخصية إجرائيا يمكن التمييز بين ثلاث مواصفات:

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 39.

- مواصفات سيكولوجية: تتعلق بكينونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الإنفعالات، العواطف...).

- مواصفات خارجية: تتعلق بالمظاهر الخارجية للشخصية (القامة، لون الشعر، العينان، الوجه، العمر، اللباس...).

- مواصفات اجتماعية: تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي، وايديولوجي، وعلاقاتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية: عامل/ طبقة متوسطة/ برجوازي/ اقطاعي، وضعها الاجتماعي: فقير/ غني، ايديولوجيتها: رأسمالي، أصولي، سلطة...).

لذلك يقتضي التحليل التمييز بين كينونة الشخصيات وأفعالها، بين المواصفات (الصفات) والوظائف (الأفعال)، أو بين الملفوظات التكوينية للشخصية إلى عدة مستويات سردية أو وصفية، يمكن إجمالها في الشكل التالي[1]:

الوصف	الحكي	الحوار	المنولوج
- ما نوصف به الشخصية. - وصف ذاتي: ما تقدمه الشخصية من أوصاف عن ذاتها. - وصف غيري: ما يقدمه السارد أو الشخصيات الأخرى من أوصاف عن الشخصية الموصوفة.	- ما تفعله الشخصية. - محكي الأفعال.	- ما تقوله الشخصية. - محكي الأقوال.	- ما تفكر به الشخصية. - الخطاب الذاتي.

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 40.

تظهير:

«فجأة، توقف أطفال الزقاق... ثم هللوا جميعا دفعة واحدة: أمنا عيشة... أمنا... وتراكضوا حول... شبح عجوز... وقد سطرت تجاعيد الوجه وضمور الشفتين المندفعتين داخل الفكين... كانت طويلة القامة... تسير وكأنها تنط أو تحاول القفز بشكل مضحك... أحاط بها أطفال الزقاق... دون أن تبالي بردعهم بل إن مظهر القسوة الصارم الذي يطبع سعنتها في الأغلب، كان يغيب هذه الأثناء ليولد مكانه مشروع ابتسامة، وكلما توقفت حينا بعد آخر لتعدل مشيتها ووضعت قفتها على الأرض، دفعت إليهم بجمع يديها من محتوى القفة، يضم أصنافا من طري الخبز ويابسه، وقشور الخضر وقطع اللحم والبسكويت، ومالا يحصى مما تقضي يومها في جمعه عن طريق التسول وتنقيب القمامات... ويدرك كل من في الزقاق أن عيشة عادت من جولتها اليومية الطويلة عبر أحياء ومناطق في المدينة لا يعرفها سواها، ومن المعتاد أن عيشة أو العرجاء، كما يطلق عليها أحيانا في غيبتها، لا تفرغ كيسها للأطفال ولا تناولهم منه إلا عندما تدخل ويدخلون معها براكتها...» (الريح الشتوية 24-25)[1].

تختلف الملفوظات السردية عن الملفوظات الوصفية في مستويين:

أولا: صيغة تقديم الشخصية:

- تعتمد الملفوظات السردية صيغة الأفعال في تقديم الشخصية (تسير، توقفت، تقضي، تدخل...).

- تعتمد الملفوظات الوصفية صيغة الوصف في تقديم الشخصية (عرجاء، طويلة القامة، عجوز، ضمور الشفتين...).

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص42.

ثانيا: طبيعة المعرفة:

- تقدم الملفوظات الوصفية معلومات ظاهرة، ومعرفة مباشرة عن الشخصية (عرجاء، طويلة، عجوز...) لا تحتاج إلى استنباط وتأويل القارئ.

- تقدم الملفوظات السردية معلومات ضمنية، ومعرفة غير مباشرة عن الشخصية، حيث أن القارئ مدعو لاستخراج واستكشاف مظاهر الشخصية من خلال ما تحيل عليه الأفعال، فأفعال المشي – مثلا – (تسير كأنها تنط وتحاول القفز، توقفت لتعدل مشيتها...) تحيل على طريقة مشية الشخصية، بمعنى أنها تقدمها بطريقة ضمنية غير مباشرة، بخلاف وصف "العرجاء" الذي يقدمها بطريقة مباشرة[1].

3-أشكال التقديم:

المقصود بأشكال التقديم الطريقة التي يقدم بها الروائي شخصياته في الرواية، بالنظر إلى تاريخ الرواية نرى تعددا في أشكال التقديم، ذلك أن هذه الأشكال تخضع لمنطق التحول الإبداعي من فترة إلى أخرى...، وترتبط باختيارات الكتاب الفنية والجمالية، من الكتاب من يحرص على ابراز شخصياته بأدق تفاصيلها فيهب في وصف طبائعها وتعيين ملامحها مثلما نجد في الرواية الواقعية والرواية الاجتماعية، وهناك بالعكس من يعمد إلى الإيجاد والاختصار، فيترك شخصيته بدون ملامح وأوصاف، وفي أحسن الأحوال، يقدم معلومات ضئيلة لا تكفي لرسم صورة واضحة عنها، وهناك من الروائيين من يتعمد ارباك القارئ وتضليله بوضع شخصياته في أوضاع غامضة ومفارقة، مثلما نجد في بعض أشكال الرواية الحديثة، حيث «الشخصية الواحدة تحمل أكثر من اسم، شخصيات مختلفة تحمل نفس الاسم، تغير في الديمومة، نفس الشخصية قد تكون تباعا،

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 42.

امرأة أو رجل، أشقر أو أسمر، ديمومة في التحولات (شخصيات مختلفة تقوم بنفس الفعل أو تتلقى نفس الأوصاف)»[1].

أمام تعدد المشاكل التي يطرحها تقديم الشخصية من حيث التنوع والاختلاف، يقترح فيليب صامون مقياسين أساسيين يفيدان في القيام بهذه المهمة: المقياس الكمي: وينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية.

القياس النوعي: ينظر إلى مصدر المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى أو المؤلف: «أم أن الأمر يتعلق بمعلومة ضمنية تم الحصول عليها من خلال فعل الشخصية ونشاطها»[2].

انطلاقا من معيار مصدر المعلومات عن الشخصية هو الشخصية نفسها بمعنى أن الشخصية تعرف نفسها بذاتها باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط، من خلال جمل تتلفظ بها هي، أو من خلال الوصف الذاتي auto-description، مثلما نجد في الاعترافات والمذكرات واليوميات والرسائل التقديم غير المباشر: حين يكون مصدر المعلومات عن الشخصية هو السارد، حيث يخبرنا عن طبائعها وأوصافها، أو يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية في هذه الحالة يكون السارد وسيطا بين الشخصية والقارئ أو تكون إحدى شخصيات الرواية... وسيطا بين الشخصية والقارئ.

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

II. أهمية الشخصية:

تعتبر الشخصية الركيزة الأساسية في العمل الروائي فبدونها لا يمكن لأحداث الرواية مباشرة سيرها، الشخصية هي العنصر الفاعل في الرواية، ونجد الشخصية تحدد في الأعمال الروائية بحسب الظروف الثقافية والتاريخية والأيديولوجية والطبيعة البشرية "تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والثقافات والحضارات والهواجس والطباع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود.[1]

أي أن الشخصية تحدد في الرواية بفعل التنوع اللامحدود لثقافات الأجناس البشرية ولاختلاف المجتمعات والظروف التاريخية وغيرها، فتعكس الشخصية أفكار المجتمعات وتقاليدهم وما في قلوبهم من مشاعر تختلف من شخص إلى آخر، فترى الروائي التقليدي يسعى وراء الشخصيات في عمله لكي يعتمدها كنموذج مصغر لما يحدث في العالم الواقعي.[2]

كان الروائي التقليدي يلهث وراء الشخصيات ذات الطبائع الخاصة لكي يبلورها في عمله الروائي، فتكون صورة مصغرة للعالم الواقعي، ويعامل الروائي التقليدي للشخصية على أنها كائن حي فيبدع في وصف أدق تفاصيلها ومشاعرها".

تعامل الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها، وقامتها، وصوتها، وملابسها، وسناه، وأهواؤها، وهواجسها، وآمالها، وآلامها، وسعادتها، وشقاوتها...[3]

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1998، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

[3] المرجع نفسه، ص 76.

وهذا يؤكد لنا مدى أهمية الشخصية في الرواية التقليدية وبأنها تلعب دورا بارزا في العمل الروائي للكاتب أو الروائي التقليدي أمثال "بالزاك وإميل زولا ونجيب محفوظ".[1]

فلا يمكن تصور الرواية التقليدية دون الشخصيات لأنها المحرك الرئيسي لها فلا يحدث صراع داخل الرواية دونها لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية، أو شخصيات تتصارع فيما بينها، داخل العمل السردي[2]،

كذلك نجد الكثير من الروائيين في هذا الجانب يركزون كثيرا على رسم ملامح الشخصية وإعطائها مكانة خاصة والسعي إلى "إعطائها دورا ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للروائي التقليدي الذي كان يعرف كل شيء سالفا، عن شخصيات روايته، وعن أحداثها وزمانها ومكانها[3]، وفي جانب آخر نجد اهتمام أرسطو الكبير بالشخصية لأن المأساة كانت أساس المحاكاة لعمل ما عنده فركز على ضرورة وجود شخصيات لكي تقوم بتحريك هذا العمل فاهتم بصفاتها وجوانبها ولكل منها صفات فارقة" وفي هذا التحديد الأرسطي تكون طبيعية الأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة وتصبح المأساة لا تحاكي عملا من أجل أن تصور الشخصية ولكنها بمحاكاتها للعمل تتضمن محاكاة للشخصية من حيث صفاتها الأخلاقية وما تعبر عنه من حقائق[4] ومن هنا يتضح لنا أن الشخصية عند أرسطو كانت ثانوية بالمقارنة مع أهمية العناصر الأخرى وهكذا ففي الشعرية الأرسطية كانت الشخصية تعتبر ثانوية بالقياس إلى باقي عناصر العمل التخيلي أي خاضعة خضوعا تاما لمفهوم

---

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 76.

[2] المرجع نفسه، ص 76.

[3] المرجع نفسه، ص 76.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، شارع جاندارك، بناية المقدسي، بيروت، ط 1، 1990، ص 208.

الحدث[1]، لكن في القرن التاسع عشر أصبح للشخصية دور بارز حيث استقلت عن الحدث وفي القرن التاسع عشر عندما احتلت الشخصية مكانا بارزا في الفن الروائي أصبح لها وجودها المستقل عن الحدث، بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساسا لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة[2]، وما يفسر هذا الاهتمام بالشخصية من طرف روائي القرن التاسع عشر صعود قيمة الفرد في المجتمع ورغبته في السيادة[3] وهذا ربط "آلان روب غريبي" أي ما أسماه بالعبادة المفرطة للإنساني[4] هذا يوضح لنا سبب اهتمامهم بالشخصية لأن لديهم كانت تختزل مميزات الطبقة الاجتماعية، وأصبحت كل عناصر السرد تعمل على إضاءة الشخصية وإعطائها الحد الأقصى من البروز وفرض وجودها في جميع الأوضاع[5].

كما يركز "لوكاش" أنه من الضروري المحافظة على وجود البطل داخل العمل الروائي وإعطائه المكانة المناسبة "لوكاش" يؤكد دائما على ضرورة الحفاظ على وجود البطل داخل النص وإحلاله المكان الملائم له[6]،

في جانب آخر نجد ما يسمى بـ "رواية الحدث" وهنا تقل أهمية الشخصية حيث يتم التضحية ببع الشخصيات إما تكون ثانوية، أو يقتل الشرير، وحتى أنه تتم التضحية بالشخصيات الطيبة في بعض الأحيان تموت بعض الشخصيات الثانوية عادة، ويقتل الشرير، وربما ضحى المؤلف ببعض الشخصيات الخيرة، دون أن يصيب ذلك الرواية

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 208.

[2] المرجع نفسه، ص 208.

[3] المرجع نفسه، ص 208.

[4] المرجع نفسه، ص 208.

[5] المرجع نفسه، ص 208.

[6] المرجع نفسه، ص 209.

بأي ضرر مادام البطل يعود بعد رحلته الصاخبة إلى بر السلامة والاستقرار[1] هذا يعني سيطرة الأحداث وتحكمها في الشخصية، وهذا ما يراه الروائيون المعاصرون، نادوا بضرورة التضئيل من شأن الشخصية، والتقليص من دورها عبر النص الروائي[2] في حين نجد أن بعض النقاد الفرنسيين المعاصرين يهتمون كثيرا بالشخصية الروائية فهي بالنسبة لهم "مثلها مثل الشخصية السينمائية، أو المسرحية، لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي تعتزي اليه، بما فيه من أحياء وأشياء. إنه لا يمكن للشخصية أن توجد في ذهننا على أنها كوكب منعزل، بل إنها مرتبطة بمنظومة، وبواسطتها، هي وحدها، تعيش فينا بكل أبعادها"[3].

فالشخصية "موضوع اهتمام كثيرين، كالفنانين والشعراء ومؤلفي القصص والمسرحيات ورجال الدين والسياسة والتجارة والدعاية، هذا فضلا عن عامة الجمهور المثقف وكل إنسان[4]، إذ كل إنسان يتميز بشخصيته عن البقية.

---

[1] إدوين موير، بناء الرواية، الترجمة: إبراهيم الصيرفي، مراجعة: الدكتور عبد القادر القط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار الجيل للطباعة، 1995، ص 18.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 77.

[3] المرجع نفسه، ص 79

[4] د. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 29.

الجانب التطبيقي

الفصل الأول: البعد الجسمي للشخصيات الروائية في الرواية

الفصل الثاني: البعد النفسي للشخصيات الروائية في الرواية

الفصل الثالث: البعد الاجتماعي للشخصيات الروائية في الرواية

الفصل الرابع: البعد الإيديولوجي للشخصيات الروائية في الرواية

الفصل الأول:

البعد الجسمي للشخصيات الروائية في الرواية

المبحث الأول: مفهوم البعد الجسمي

المبحث الثاني: الشخصيات في البعد الجسمي

إن الدور الذي تؤديه الشخصية وما تصنعه أحداث داخل الرواية جعلتها محط اهتمام الباحثين وهذا ما جعل الروائي يهتم بمظهر الشخصية ومقوماتها، فقد نشأ في علم النفس علم يسمى علم التضحية يدرس الإنسان ويركز في الوقت نفس على الفوارق الفردية، كما له سلوكات وصفات فطرية وأخرى تظهر بدافع الغريزة ومنها ما يكتسب من خلال الواقع والمجتمع والبيئة التي ينتمي إليها، فعلى الروائي أن يراعي تلك الجوانب أثناء بنائه للشخصيات وقبل الدخول في الأبعاد سنشرع في قراءة بسيطة للعنوان "تشرفت برحيلك":

قراءة في عنوان الرواية "تشرفت برحيلك":

عند قراءة العنوان نجده يتكون من كلمتين إلا أن ما وراءه كثير جدا فهو يحمل معاناة أمة بأكملها وهذه المعاناة تجسدت في شخصية فاطمة والتي هي إحدى النساء اللواتي عانين من التحقير الجسدي واللفظي وتلك في الفترة التي كانت الجزائر الحبيبة تعاني فيها من العشرية السوداء فكان هذا العنوان قصة لكثير من النساء المعنفات من طرف إخوانهم أو آبائهم أو أزواجهم:

"قصة كتابي هي أيضا قصة حياتي، وقصة حياتي هي قصة مجتمع، وقصة المجتمع هي في النهاية جزء من التاريخ"[1] ما نعني أن هذا العنوان يحمل كل هذه المحطات من قصة حياة فاطمة بطلة الرواية إلى قصة المجتمع الجزائري بأكمله، عندما تقرأ "تشرفت برحيلك" تفهم أن البطلة قد تخلصت من أمر ما كأنها كانت داخل سجن لدرجة أنها أحست بشرف كبير عند رحيلها، نظرا للعناء الذي تكبدته مع زوجها فعندما طلقها، كأنها أطلق صراحها لكي تعيش بحرية "غدا لا أجدك هنا، وخذي معك أولادك إن شئت!

أجبته بأعلى صوتي:

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 5.

- ارحل، ارحل، فأنا أيضا أريدك أن ترحل... ارحل فقد تشرفت برحيلك!!! "[1]

من يتعمق في العنوان يجد من ورائه شعورا قويا جدا بالحرية والشجاع بعد معاناة طويلة، تحررا من الخوف والضعف والجبن، كسر للظلم والعنف "سننشر ما كتبت! ستعطين العبرة لكثير من النساء، وستدعمين الجمعية دعما لا يقدر"[2]، عنوان "تشرفت برحيلك" يحمل معنى الشجاعة بعد الأسى والقهر الذي منع النساء من البوح بمعاناتهم وبقيت كسر يكتمونه رغما عنهم خوفا من أن يتعرضوا أكثر للتعنيف "وأخيرا التقيت بامرأة شجاعة تكتب وتنشر عن الموضوع الذي تحكي عنه النساء سرا"[3] وفي الأخير تقول البطلة أن روايتها عبرت عن قضية إنسانية ما يعني أن العنوان يحمل راية الدفاع عن قضية إنسانية" ربما لا أكون فائقة التعبير الفني والأدبي، لكني كتبت أساسا من أجل قضية إنسانية لا أدبية ثم إن الكتابة كالحب، أيا كانت نهايته يبقى مغامرة تستحق أن تعاش..."[4] وبهذا نستطيع أن نقول عن العنوان أنه تمكن من تلخيص معاناة مجتمع بأكمله خلال فترة العشرية السوداء وقد وفقت الكاتبة في اختيار العنوان.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 228.

[2] المصدر نفسه، ص 242.

[3] المصدر نفسه، ص 243.

[4] المصدر نفسه، ص 246.

البعد الجسمي:

هو مجموع الصفات والسمات الخارجية الجسمانية التي تتصف بها الشخصية، سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من الراوي أو إحدى الشخصيات أو من طرف الشخصية ذاتها عندما تصف نفسها أو بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها أو تصرفاتها، كما أن الجانب الفيزيولوجي له أهمية كبرى في ملامح الشخصية وتقريبها من القارئ، حيث تقدم الشخصية من وجهة نظر الشخوص الأخرى حولها، كما يعد الاهتمام باسم الشخصية ذا أهمية في وصف الشخصية[1].

كما يهتم الروائي أيضا باسم الشخصية، لأنه يؤدي دورا كبيرا في وصف الشخصية، فمثلا يمنحها اسما وصفيا يحدد جنسها إما مفردا (سيدات، نساء، أطفال، شباب...) وهذا الاسم الوصفي عمري، أو بإضافة مركب (رجل أبيض، امرأة رشيقة...) أو يحدد مكان الشخصية مثل (فتاة الرزق، فتاة الشام) أو مهنتها (كاتبة روائية)[2].

البعد الجسمي هو الوصف الخارجي لشكل الشخصية (جانبها المرئي).

الشخصيات في البعد الجسمي:

ونجده بداية في الشخصيات الرئيسية، وقبل أن نحدد الشخصيات الرئيسية التي تجسد فيها البعد الجسمي، نعطي أولا مفهوم للشخصية الرئيسية (المحورية): وهي التي تقود الفعل، وهي شخصية محورية "حيث تحظى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوقة"[3].

تتميز الشخصيات الرئيسية بكونها الحجر الأساس داخل العمل الفني، وهي المجال الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث، بل تعتبر مصدرها، فالشخصية الرئيسية أو

[1] صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 380.

[2] أحمد مرشد، البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، دار فارس، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 67.

[3] محمد بوعزة، تحليل تقنيات ومفاهيم، ص 56.

المحورية كلما منحها الراوي أو القاص الحرية تكون قوية ومهيمنة في العمل الروائي، وقمنا بإسقاط هذا النوع من الشخصية على الرواية.

حيث نجد ثلاثة شخصيات رئيسية تجسد فيها البعد الجسمي وهي (فاطمة الزهراء، طارق، ناصر).

* **فاطمة الزهراء:** وهي الشخصية الأساسية التي تمحورت حولها الرواية، وتعد جوهر هذا العمل الروائي، ومن مواصفات التي ذكرتها الكاتبة للشخصية المحورية بأنها فتاة جميلة، طيبة القلب، ذات أخلاق عالية، ففي الرواية تعددت الأوصاف لبطلة الرواية من بدايتها إلى نهايتها، محبة للشعر، كما جاء في الرواية "احذري فإن أدمنت الشعر فتصبحين شاعرة"[1].

تتسم بالجدية وحبها للدراسة، كما أنها العاشقة الوفية التي وقعت في حب زميلها في الثانوية المسمى "طارق".

فهذا البعد أبرز السمات والمواصفات الخارجية التي تجلت في شخصية فاطمة الزهراء، وكما نعلم أن فاطمة الزهراء هي الشخصية المحورية أي أن الرواية بكاملها تسلط الضوء عليها وتمنحها حضورا طاغيا، لأنها شخصية رئيسية، مسيرة للأحداث الروائية.

وكذلك من المواصفات التي ذكرتها الرواية لهذه الشخصية، والتي أعطت مفهوما واضحا على الشخصية بأنها فتاة بسيطة، مسالمة، رومانسية ورقيقة وحساسة، "حنونة أنت كالأم، كالملاك، كالرب المجيد"[2]، حيث كانت فاطمة الزهراء مهتمة بهندامها "لبست كعادتي

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، دار فضاءات النشر والتوزيع، المركز الرئيسي، عمان، ط2، 2019، ص 19.
[2] المصدر نفسه، ص 26.

سروالا وبلوزة بأكمام وفوقها مئزر وردي"[1]، صاحبة شعر طويل ذو خصلات صفراء "مشطت شعري الذي يصل إلى وسط ظهري"[2].

كما تظهر الروائية أن فاطمة الزهراء أصبحت هزيلة الجسم كما جاء في الرواية "فقدت كثيرا من وزني في الأسابيع اللاحقة"[3] وأيضا فصلت الكاتبة أكثر عندما وصفت فاطمة الزهراء وأبرزت صفاتها عندما أصابها المرض قائلة "كنت نحيلة وازداد نحولي، الجلد فقط يلم العظام"[4].

وكذلك توضح الرواية أن بطلة الرواية كان لها مهنة فهي دائما تحلم أن تدرس وأن تصل إلى هذه المهنة وهي معلمة في الابتدائي كما جاء في الرواية "كنت أحبهم جميعا على اختلافاتهم المجتهد، الكسول، المشاغب، الهادئ"[5].

وقد تداولت أو ذكرت عدة مواصفات أو ملامح التي تبرز دور هذه الشخصية نذكر "لم أضع شيئا على وجهي، ربطت شعري، كيفما كان عسى أبدو لهم قبيحة"[6].

وكي تبرز أكثر ملامح الشخصية أصبحت بعد ذلك فاطمة الزهراء محجبة وقد ظهر في الرواية "لقد تحجبت"[7].

ومن مواصفات كذلك التي تبرز هندام فاطمة الزهراء الذي تغير تغيرا جذريا "جلباب أسود بحذاء أبيض"[8] الذي زفت بهذا اللباس بعدما كان أمالها أن تزف بفستان أبيض.

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 37.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] المصدر نفسه، ص 87.

[4] المصدر نفسه، ص 115.

[5] المصدر نفسه، ص 88.

[6] المصدر نفسه، ص 100.

[7] المصدر نفسه، ص 106.

[8] المصدر نفسه، ص 127.

فقد لامس الشيب رأس فاطمة الزهراء "لا أمشط شعري الذي التهمه الشيب من كل الجهات"[1] هنا أبرزت الكاتبة أن فاطمة الزهراء اعتراها الكبر، أو دخلت في مرحلة الشيخوخة بعدما شاب شعرها برغم من سنها الصغير، لتوضح أن الشيخوخة ليس الكبر في السن، وإنما عندما يشيخ القلب تشيخ معه النفس.

وكذلك من المواصفات التي نجدها أنها تلبس جلباب قديم، حقيبة ممزقة "تهالكت محفظتي مثلي وما عادت تحمل، تقطعت يديها"[2]، مبتورة النهد "أنا ميتة ميتة، فماذا يفيد أن أموت بنهد واحد أو نهدين"[3]، وأعتقد من قراءة الرواية يتضح للقارئ أشياء يعتبرها أنها الأصح، فمثلا فاطمة الزهراء هي نفسها الراوية التي تصف ذاتها بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها ومواصفاتها التي كانت قليلة نوعا ما في الرواية، هذا بمفهومي الخاص، فكل قارئ للرواية تختلف وجهة نظره فعادة نجد أن الراوي (القاص) يصف نفسه في الرواية ويوضح دوره فيها بملامحه وبأهم السمات التي يتميز بها.

* **طارق:** فهو تلميذ في السنة الثالثة ثانوي يكبر فاطمة بسنة من مدينة بومرداس، وهو يتيم الأم، تحصل على شهادة البكالوريا، ودرس الإعلام الآلي في جامعة الجزائر، اتسم بالصدق والوفاء، وقف مع فاطمة الزهراء ودعمها كثيرا، خصوصا بعدما رسبت في امتحان البكالوريا، وهو يعرف من هو المتسبب في ذلك إنه أخوها فؤاد، لذا شجعها بالعودة من جديد، وأنها ستنجح في البكالوريا العام المقبل، فهو كان خير سند لها في محنتها، ومعاملة أخوها فؤاد لها بقسوة كبيرة، فكان يخفف عنها ويواسيها، ولما لا فكان يحبها حبا عظيما لا مثيل له، نعم أحب فاطمة الزهراء بكل صدق وعمل المستحيل

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 163.

[2] المصدر نفسه، ص 172.

[3] المصدر نفسه، ص 201.

ليتحصل عليها ويتمكن من الزواج بها، لكن الظروف كانت معاكسة له، ونجد ذلك في الرواية:

"زهرتي الغالية

كيف أنت أيتها العذبة الحنونة؟

أنا مشتاق كثيرا إليك وخائف عليك

كوني قوية وسيزهر الربيع قريب"[1]

يعد طارق الشخصية الأساسية في الرواية، كونه الحبيب الذي أحبته فاطمة الزهراء، كما أن هذه الشخصية تعتبر الشخصية التي بقيت من بداية الرواية إلى نهايتها.

ومن المواصفات الخارجية التي ظهرت في هذه الشخصية، والتي أظهرتها الرواية والتي تجسدت في البعد الجسمي نذكر:

وصفت الكاتبة شخصية طارق بأنه هو الحبيب والعاشق لفاطمة الزهراء في قولها "وقفته المستقيمة، ابتسامته الخجولة، قميصه، محفظته، مكانه المفضل في الساحة، إنه تلميذ يسبقني بسنة"[2] وقد وصفته بأنه العاشق بكلامه الجميل الذي يسر القلب عند سماعه كما جاء في الرواية "فاطمة الزهراء اسم طويل، ثم ألم أقل لك أنك زهرة الزهرات أفضل أن أناديك زهرة، أتمانعين؟"[3] فهو استثنائي "أحببت أن يناديني باسم مختلف"[4].

محب للدراسة، طموح بحلمه وهو الالتحاق بالجامعة هذا ما يتمناه، حنون ومواسي فقد كان خير مساند لحبيبته فاطمة الزهراء "زهرة... يا زهرتي... اللعنة عليه كيف تجرأ على

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 65.

[2] المصدر نفسه ص 14.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

[4] المصدر نفسه، ص 23.

ذلك"[1] هذا ما قاله طارق عند معرفته بضرب حبيبته من طرف أخوها فؤاد وأضيفت في مقطع آخر "سأقطع له يديه إذا لمسك مرة أخرى"[2].

وكذلك من مواصفات طارق أنه كان قوي البنية، "ثار بركانه هو الآخر، ودفع بفؤاد للوراء وركله ركلة محترف، ثم لكمه على وجهه ثأرا بما فعله بي"[3]، وقد أضافت أن طارق هو المضحي بكل شيء، حاول بكل الطرق أن ينجح في حبه، والحصول على حبيبة قلبه فاطمة الزهراء، كما جاء في الرواية "طارق وجد حلا، لكن إياك أن تترددي... تعلمين أن لديه جدة... وهي مستعدة لاستقبالكما مدى الحياة كضيفين أو كزوجين"[4].

وأظهرت الرواية كذلك أنه كان أفضل مشجع في حياتها "كوني قوية"[5] هذه العبارة التي كانت لها أفضل دواء فيما كان يحصل لها في حياتها من مآسي وأحزان.

فشخصية طارق لها دور فعال في الرواية بكونه العاشق والمحب لفاطمة الزهراء حيث اعتبرته بأنه أفضل زوج يمكنها أن تتقاسم معه حياتها فشخصية طارق تعتبر أمنية لأي بنت تتمناه في حياتها، ففاطمة الزهراء لم تحصل على الحب إلا بعد ثمانية عشر عاما أو أكثر لتلتقي بحبيبها أخيرا بعد عناء وشقاء ومعاناة التي عاشتها.

* **ناصر:** هو ذلك العريس الذي أتى به فؤاد ليزوج فاطمة الزهراء رغما عنها، كما جاء في الرواية "شاب مقبول الوسامة، بذلة أنيقة بلا ربطة عنق، لحية خفيفة مهذبة، عطر قوي لكن غير زكي"[6].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 35.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] المصدر نفسه، ص 86.

[4] المصدر نفسه، ص 109.

[5] المصدر نفسه، ص 120.

[6] المصدر نفسه، ص 102.

ففاطمة الزهراء وصفت ناصر عندما جاء لخطبتها ولم تكن تعلم بأنه يرتدي قناعا مزيفا، في الظاهر يبدو كأي إنسان عادي، لكن بعد الزواج تغير كل شيء واكتشف وجهه الحقيقي المتخفي ببذلته الأنيقة التي يرتديها كما وصفته الكاتبة قائلة "أريد أن يسمعني العالم ليعرف أن بذلتك الأنيقة، وربطة عنقك نفاق، وأن أدبك معهم وابتسامتك نفاق، وأنك أسوء الرجال"[1]، فهو شخص استغلالي، منافق، إرهابي مثله مثل أخ فاطمة الزهراء فؤاد، كما وصفته أيضا "اشترى عدة بذلات جديدة وربطات عنق، وأحذية وعطرا من ماركة عالمية، لحيته التي هذبها في السنوات الأخيرة حلقها كلها الآن، وترك بعض الشوارب الخفيفة فقط ساعة ضخمة"[2].

وتضيف الكاتبة في مقطع آخر "ناصر الذي رأيته أول مرة بلحية خفيفة مهذبة، أصبحت لحيته الآن غابة متوحشة، ويلبس قميصا قصيرا"[3].

كما ظهر البعد الجسمي في الشخصيات الثانوية مثل شخصية فؤاد، شخصية رشيد، سعاد، أمين، الأب وجميلة.

وقبل الدخول في الشخصيات الثانوية نعرف الشخصية الثانوية أولا:

الشخصية الثانوية: فهي تحمل أدوارا قليلة في الرواية إذا ما قارناها بالشخصية الرئيسية "هي التي لا يوجه لها الكاتب اهتماما بالبطل، ذلك أنها تؤدي عملا ثم تنصرف من ساحة القصة، إلا أنها ضرورية للقصة لأنها تطرح الوجه المقابل للبطل، أو توضح بعض صفاته، أو تقدم له شيء من المساعدة"[4].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 227.

[2] المصدر نفسه، ص 192.

[3] المصدر نفسه، ص 142.

[4] غريد الشيخ، الأدب الهادف في قصص وروايات غال حمزة أبو الفرح، ص 392.

أي أنها أقل فاعلية بالنسبة للشخصية الرئيسية ودورها قليل، وهي تكملة للشخصية الرئيسية.

بالإضافة إلى أنها "هي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية، وتكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل سلوكها، وإما تتبع لها وتدور فلكها وتنطق باسمها. فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكسف عن أبعادها"[1].

* **فؤاد:** هو أخ فاطمة الزهراء، جسد شخصية الأخ الظالم، في معاملته لأخته، فكان يصدر الأوامر وما على فاطمة الزهراء إلا الرضوخ له، وإن عارضت سيكون موتها حتما، فالرواية أبرزت شخصيته أكثر عندما كان فؤاد بداية الأمر بسيطا، لكن مع مرور الوقت بدأ يتغير هندامه وبعد ذلك دخل في منظمة الإرهاب.

ومن المواصفات التي ذكرتها الرواية لهذه الشخصية، ذكر، ضعيف البنية، "وتراءى فؤاد خائف كجرو، ففي النهاية ليس لديه أية قوة عضلية"[2]، وأيضا لا يحلق لحيته كما جاء في الرواية "فلا حلق لحيته"[3]، ذو ملبس غريب "بجلابيته السوداء المشبعة برائحة الخشب المحترق"[4]، سروال لا هو قصير ولا هو طويل ومن فوق يلبس قميصا عريضا وقصيرا.

وأضافت كذلك "حيث كان يغيب طويلا عن المنزل على غير عادته، وهو الذي يظل يحوم حولنا ويحتكر التلفزيون الذي لا يبث سوى قناة واحدة"[5]، وفي مقطع آخر أبرزت ملامحه بشدة وذمامة شكله وتصرفاته، كما جاء في الرواية "ففؤاد لم يوجه يوما

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص 57.
[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 87.
[3] المصدر نفسه، ص 9.
[4] المصدر نفسه، ص 9.
[5] المصدر نفسه، ص 7.

رأسه للقبلة، ويكفي أن تنقصه سيجارة ليسب الله والدين والوالدين حتى الثمالة"[1] وأيضا "يحلل ويحرم كما يشاء مقحما الله في كل شيء وهو ضئيل المعرفة بالدين!"[2].

وكذلك من المواصفات التي ذكرتها بطلة الرواية فاطمة الزهراء لفؤاد وهي صفة تدل على ذمامة وقبح صاحبها كما جاء في الرواية "كوحش أطلق توا من قفصه بدأ يمزق الديوان ويهدد"[3].

إضافة بأنه رجل إرهابي، يدعي الدين باسمه ليرتكب مجازر كبيرة، عنيف ومتشدد، كما جاء في الرواية "أصبح أعنف من أي زلزال أو إعصار أو بركان أعنف من كل مخلوقات الإنس والجان!"[4].

* **رشيد:** وهو الأخ الكبير لفاطمة الزهراء، ومن المواصفات التي تنطبق على شخصيته "بعد أن اطال لحيته هو الآخر، وتخلى عن سروال الجينز كما فعل فؤاد، ليلبسا هذا السروال الذي لو نر مثله من قبل، لا هو طويل ولا قصير، لا من الصوف، ولا من الحرير".[5]

وهو المؤيد لأخيه فؤاد في كل شيء وما يقوله فؤاد يكرره رشيد، لا يعرف رشيد سوى السب والشتم، طبعا لأنه إرهابي مثل أخاه، فالإرهاب لا يعرفون إلا الضرب والعنف بكل أنواعه.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 10.
[2] المصدر نفسه، ص 27.
[3] المصدر نفسه، ص 34.
[4] المصدر نفسه، ص 58.
[5] المصدر نفسه، ص 10.

وكذلك من مواصفات رشيد أصبح يفتي في كل شيء، اشترى لزوجته جلبابا ونقابا مع أنها لم تكن محجبة من قبل أن يصبح سلفيا"[1].

* **سعاد:** وهي صديقة فاطمة الزهراء الوفية التي أضفت عليها الكاتبة نوعا من الإبداع في وصفها "سعاد مغامرة، ومتهورة، قوية وواثقة من نفسها، متحدثة جيدة ومقنعة"[2]، وتضيف في مقطع آخر لتبرر ملامح شخصية سعاد "أنها قصت شعرها قصة قصيرة، وأصبحت ترتدي سراويل الجينز دائما"[3].

* **أمين:** وهو أحد تلاميذ فاطمة الزهراء، ومن مواصفات التي تنطبق عليه "تلميذ هادئ وظريف، قليل الحركة والمشاغبة، ذكي وجاد، مؤدب إلى حد لا يعقل، حريص على تأدية واجباته في وقتها"[4]. كانت تحبه فاطمة الزهراء كثيرا، لأن حالتها تشبه حالته من ناحية الحزن الذي كانوا يعيشوه أمين وفاطمة الزهراء، فقد ساعدته في يوم من الأيام عندما كان بحاجة إلى المواساة والحنان بعدما قتل الإرهابيون أباه ونجد ذلك في الرواية "جلست على ركبتي ووضعت يدي على خديه ومسحت دموعه كل ما أملكه هو حضني، وبه حاولت أن أواسيه وهل من شيء يواسي الأحزان أفضل من الأحضان"[5].

أمين صغير في السن، لكنه يخفي داخل بريق عينيه كثيرا، بقي مجتهدا في دراسته لكنه فقد بهجة الحياة، وجدت فاطمة الزهراء فيه ذاتها، نفس الحزن، نفس الأسى، نفس الملامح الحزن لأن أمين فقد والده، وفاطمة الزهراء فقدت حبيبها، فكان أمين يحب معلمته حبا جما، لأنه وجد فيها كذلك حنانا عوضه عن كل ما عاشه من مر الأيام، كما جاء في الرواية:

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 40.

[2] المصدر نفسه، ص 28.

[3] المصدر نفسه، ص 159.

[4] المصدر نفسه، ص 88.

[5] المصدر نفسه، ص 89.

"هل تحبني يا أمين؟

هز رأسه عدة مرات ثم نطق:

أجل

كم تحبني

كثيرا"[1]

ومن المواصفات الخارجية التي تجسدت في شخصية أمين وذلك عندما كبر وأصبح شابا كما جاء في الرواية "طبيب شاب بهي الطلعة، وفي يده ملفي وعلى وجهه ارتسمت أحلى ابتسامة، وقف أمامي منتصبا وعيناه تشعان نورا، وكمن لا وقت لديه ليحلق ذقنه، بدت لحيته بعمر أسبوع أو أكثر بقليل"[2].

فعندما كبر أمين وعند لقائه بمعلمته فاطمة الزهراء كلن مشتاقا لها، وعندما رآها كانت فرحته كبيرة وهذا ما جاء في الرواية "هل تسمحين لي بأن أضمك إلى صدري!!، دعيني أرد لك دينا... فيوما ما كنت مثلك حزينا وقد ضممتني إلى صدرك بكل قوة وحنان"[3].

* **الأب:** تعتبر شخصية الأب من الشخصيات الثانوية التي لعبت دورا مهما في الرواية، وقد وصفته الكاتبة وصفا قليلا نوعا ما ويتجلى ذلك في: "أبي رجل يقدس العلم ويبجله رغم كونه محدود التعليم"[4] وتظهر كذلك مواصفات لهذه الشخصية في الرواية "سمع أبي ما يكفي لشل رجليه، لم يستطع القيام، وبعد حوالي نصف ساعة كان شيء ما قد حدث

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 91.

[2] المصدر نفسه، ص 206.

[3] المصدر نفسه، ص 206.

[4] المصدر نفسه، ص 13.

في داخله ارتفاع للضغط أو السكر أو الغضب المهم أنه فقد توازنه"[1]، وأيضا وصفته وأبرزت ملامحه قائلة "شاخ أبي فجأة كأنما كبر فقط في أيام"[2].

* **جميلة:** وهي أخت فاطمة الزهراء تكبرها عمرا بسنة كما جاء في الرواية واصفة إياها "تكبرني جميلة عمرا بسنة واحدة فقط. أما مرحا وبهجة فبعشرات السنين، فهي دائمة الضحك والتنكيت"[3]، محبة للحياة، تريد أن تصبح زوجة ماهرة في كل شيء (الطبخ، الطرز...)، كما كانت جميلة كاتمة أسرار فاطمة الزهراء كما جاء في الرواية "هيا أخبريني عن حبيبك وسأخبرك عن حبيبي، ضحكنا وهي لا تزال تصر علي لأحدثها عن طارق"[4].

إلى جانب هذا لم يظهر البعد الجسمي فقط في الشخصيات الرئيسية والثانوية بل ظهر في كل أجزاء الرواية وسوف نذكر هذه الشخصيات التي ظهرت في الرواية إلى جانب الشخصيات الرئيسية والثانوية، وبداية سوف نبدأ بشخصية فاتح: حيث وصفت الكاتبة شخصية فاتح (أخ ناصر) والتي أعطت وصفا دقيقا له قائلة "لحية سوداء طويلة ومتوحشة، شامة دائرية كبيرة تميل للسواد وسط جبينه، ظفر أصبع الخنصر الأيمن والأيسر، طويل وحاد كسكين، نظرة ماكرة خبيثة لعينة تظللها من فوق حواجب مبعثرة وكثيفة، ومن تحت تغرقان في هالات سوداء عميقة"[5] وتضيف في مقطع آخر بوصفها قائلة "كأنما ملك الموت قد حل بيننا، يسود الصمت، ويبقى صوته الخشن... فالشر كله يخرج من بين أصابعه وعينيه"[6].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 45.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

[4] المصدر نفسه، ص 52.

[5] المصدر نفسه، ص 101.

[6] المصدر نفسه، ص 142.

من خلال المقطعين تبين لنا أن فاتح انسان إرهابي لا يعرف إلا القتل، مظهره يوحي بذلك وخصوصا من خلال طريقة لبسه وفي تصرفاته، وكذلك يفتي ويحلل في أتفه الأمور، معتبرا أن مقياس الدين ليس المبادئ والأخلاق وإنما اعتباره الشكل هو كل شيء يوحي بأنه يتبع تعاليم الإسلام والدين.

وإضافة إلى شخصية فاتح نجد الكثير من الشخصيات التي تجسد فيها البعد الجسمي، ومثال ذلك ما نجده في شخصية طاهر التي وصفته قائلة "ملابسه المتسخة والبالية، ولحيته البيضاء المبعثرة"[1]، ونجد كذلك شخصية رياض (الأخ الأصغر لناصر) "تلميذ هادئ وذكي لا تبدو عليه علامات التأسلم أو التزمت"[2] وقد وصفته كذلك "وقد أصبح أكثر وسامة وبهاء مما كان عليه في البليدة"[3] لنجد كذلك زوجته رانية "شابة، جميلة، وذكية"[4]، فقد وصفتها وصفا يتخلله الإبداع وجمال في الوصف "رانية بتنورتها الزهرية التي تصل حد الركبتين، وشعرها القصير وعطرها الفرنسي الشهي، ومكياجها الخفيف اللماع، وخديها المحمرتين"[5] لتضيف إلى جانب هذا شخصية مليكة (ام ناصر) الذي نجد لها في الرواية وصفا "تلك السيدة المريعة الجثة، بجلابتها العريضة"[6] وكذلك "العجوز الضخمة الجثة، ضيقة الصدر، قاسية القلب"[7].

حيث ذكرت الكاتبة الكثير من الشخصيات وذكرت كل شخصية ملامحها الخاصة، فعند كل صفحة قدمت وصفا لكل شخصية متواجدة في الرواية، وكذلك نجد شخصية حفيظة

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 84.
[2] المصدر نفسه، ص 131.
[3] المصدر نفسه، ص 179.
[4] المصدر نفسه، ص 197.
[5] المصدر نفسه، ص 203.
[6] المصدر نفسه، ص 101.
[7] المصدر نفسه، ص 156.

(أخت ناصر) "تلبس جلبابها ونقابها"[1] وتضيف إلى شخصية حفيظة، حميدة (زوجة فاتح) التي وصفتها قائلة "وأنا جالسة بين حفيظة وحميدة اللتين تدكاني دكا بأردافهما الضخمة"[2] وكذلك وصفتهما "بقرتين بحجمهما"[3] أبدعت الكاتبة في إعطاء وصف لحفيظة وحميدة، وعبرت عن ظلمهم لفاطمة من طرفهما بوصفهم بعبارات تليق بهم كونهم لا يعرفون سوى الحقد والشتم.

وكذلك ظهرت شخصيات لها دور قليل، ولم تساهم في تحريك لأحداث الرواية فقط بدور واحد وكان حضورها مؤقت ومحدود، لتبرز الكاتبة مواصفات لها، لأنها متواجدة في الرواية. ودور الكاتبة هو إعطاء وصف لكل شخصية، ومن هذه الشخصيات مثلا شخصية نصيرة (وهي أخت فاطمة الزهراء) حيث وصفتها في الرواية "أختي نصيرة أيضا توقفت عن الدراسة بعد إعادتها السنة الثامنة أساسي، وهي تكبرني بأربع سنوات لم يطل بقاؤها في البيت فقد انهال عليها الخطاب من داخل القرية وخارجها وفي النهاية رضت بأحدهم وتزوجت معه، وهي بنت سبعة عشر عاما ولحسن حظها فإنها تنعم بحياة هادئة وميسورة"[4].

وإلى جانب هذا نجد شخصية رقية (أخت ناصر)، حيث وصفتها الكاتبة وأعطت وصفا خارجيا لها "رقية مثل رياض، إنسانة وحكيمة لم تعارض زوجها على موقفه ولا خاصمته في الموضوع"[5].

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 144.
[2] المصدر نفسه، ص 125.
[3] المصدر نفسه، ص 154.
[4] المصدر نفسه، ص 13.
[5] المصدر نفسه، ص 162.

لتضيف زوجها واصفة إياه "زوج رقية دركي، وهو رجل مخلص جدا، نجا مرتين من عمليات إرهابية مرة من انفجار قنبلة على موكب الدرك، ومرة في مواجهة بالرصاص مع الإرهابيين، وفي جسده ما يكفي من آثار الجروح التي تذكره بذلك"[1].

وكذلك نجد أبناء فاطمة الزهراء، التي وصفتهم بمواصفات خارجية ومن بينهم أمال وهي الابنة الكبيرة لفاطمة الزهراء، كما جاء في الرواية "الطفلة الهادئة الخجولة ففي يوم مشؤوم كانت تلعب ككل البنات بما تبقى في أغراضي من أشياء انثوية قد تسلي طفلة في عمرها: حذاء أبيض بكعب عال ارتديته يوم عرسي فقط وبقايا أحمر شفاه..."[2].

وكذلك وصفت شخصية محمد قائلة "عنيف ومتطرف جدا لا يحلق ذقنه كالشباب ليست لديه اهتمامات مدرسية شغله الشاغل ماذا لبست أمال"[3].

فشخصيته تنطبق تماما مثل شخصية فاتح وناصر وأخوي فاطمة الزهراء (فؤاد ورشيد)، لأنه أخذ طباعهم وغرس فاتح في قلبه غير الحقد والعنف لتصبح شخصيته قاسية لا يعرف سوى الضرب والتهديد، لأن في قلبه لا يوجد صفة توحي بأنه إنسان مسالم، لأنه أصبح إنسان بدت عليه علامات التأسلم والتطرف.

لتضيف بعد ذلك شخصية كريمة وهي التي تعرفت بها فاطمة الزهراء في المستشفى، لها مصلحة خاصة في أعراض السرطان وكذلك الداعمة لحقوق المرأة المعنفة، كما جاء وصفها في الرواية "سيدة متوسطة العمر، مفعمة بالنشاط والحيوية، جميلة وأنيقة بحجابها العصري، بيدها مطويات توزعها على المريضات"[4].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 161-162.

[2] المصدر نفسه، ص 170.

[3] المصدر نفسه، ص 201.

[4] المصدر نفسه، ص 213.

وكذلك نجد شخصية زكية التي وصفتها فاطمة الزهراء بداية عند دخول منزلها "للوهلة الأولى حسبتها فنانة أو ربما امرأة مشهورة"[1] ليتضح الأمر أنها "ليست سوى امرأة عادية لكنها فنانة في العيش"[2] لتضيف أكثر في وصفها "سيدة لا تزال بهية رغم عمرها، لديها ابن واحد فقط يقيم في كندا وزوجها متوفي منذ سنوات، سيدة من نوع النساء اللواتي يحتفين بأنوثتهن لآخر العمر، تضع أحمر شفاه وطلاء أظافر على أصابع يديها ورجليها، شعر أشقر رمادي، وتنورة إلى الركبتين"[3].

ونجد شخصية عبد الله التي ظهرت في الرواية بدور واحد في الرواية وصفته قائلة "منفتح، ضحوك، يحب الحياة، ومتمرد كبير أيضا"[4] بالرغم من كونه أخ لناصر وفاتح لكنه لا يشبههم إطلاقا فهو على عكسهم تماما، وكذلك بتواجده بفرنسا تفكيره منفتح، وينظر إلى الحياة بوجه آخر أو بتفكير يتعارض عن تفكير أخويه.

وأيضا من الشخصيات التي ذكرتها الكاتبة في الرواية التي كانت أقل أهمية، وغير محركة لأحداث الرواية أخوها الصغير علي الذي وصفته قائلة "أخي الأصغر ذو العشر سنوات"[5]، محبا للدراسة ومتعلقا بها. "لكنه من النوع الذي ينجز واجباته قبل أن يأمره أحد"[6] وتضيف إلى ذلك شخصية عزيز (حبيب جميلة)، "شاب هادئ وخفيف الظل لا تظهر عليه علامات التأسلم والتعصب مع أنه محافظ"[7].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 232.

[2] المصدر نفسه، ص 232.

[3] المصدر نفسه، ص 233.

[4] المصدر نفسه، ص 190.

[5] المصدر نفسه، ص 13.

[6] المصدر نفسه، ص 14.

[7] المصدر نفسه، ص 54.

عند قراءتنا للرواية نجد أن البعد الجسمي (الفيزيولوجي) متوافر جدا من بداية الرواية إلى نهايتها، فكل شخصية في الرواية نجد لها وصفا خارجيا يضفي إبداعا في الرواية ليزيدها أكثر تشويقا.

فهذا البعد يوضح أهم الملامح الشخصية ومظهرها العام، لكي تتضح لنا أكثر الشخصية وما هي مميزاتها أو عيوبها نكتفي فقط بوضع أو استخراج أهم الصفات والسمات الخارجية للشخصية لتعرف أكثر عن الشخصية ودورها في الرواية.

فالقاص يحدد ويرسم لنا شكل الشخصية ويتفصل ويتعمق كثيرا فيها من خلال تحديد الأوصاف التي يصلنا بها، وذلك لمعرفة القارئ نوع هذه الشخصية ويحدد دورها في الرواية، ولمعرفة هوية الشخصية دائما نلجأ إلى البعد الجسمي (الفيزيولوجي) لأنه بعد يحدد لنا أهم الأوصاف الخارجية للشخصية.

حددنا أولا مواصفات الشخصية البطلة أو المحورية قبل أن نحدد الشخصيات الأخرى، فالبعد الجسمي نجده بكثرة في رواية تشرفت برحيلك. فالكاتبة من بداية كتابتها للرواية إلى نهايتها استعملت في سردها للأحداث بإعطاء مواصفات خارجية لكل شخصية، وبأن موضوعنا للرواية هو دراستنا من جانب الشخصية، فالكاتبة فيروز رشام أبدعت في تنقلها بين الشخصيات، وركزت أكثر على شخصية فاطمة الزهراء، لتميزها عن باقي الشخصيات، حيث هذا البعد تجسد بشكل كبير في الرواية، لأنه يعطي تفاصيل وملامح للتعرف على الشخصية، فالقارئ عندما يتعرف على أهم ما تحتويه الشخصية من ملامح ومواصفات، هنا يستطيع فهم محور الشخصية، وبالتالي عند فهمه للشخصية بها يفهم أحداث هذه الرواية.

"كما يهتم القاص في هذا البعد برسم شخصيته، من حيث طولها وقصرها ونحافتها وبدانتها، ولون بشرتها، والملامح الأخرى المميزة"[1].

درسنا شخصية فاطمة الزهراء، وأعطينا صفاتها وأهم السمات الجسمانية الخارجية التي تتصف بها، فهذا البعد حدد لنا شخصيتها وأبرزنا أهم ملامحها، مثلا ملامحها في حالة فرح. وملامحها في حالة حزن ...، كما أن البعد الجسمي ينطبق على جل الشخصيات التي موجودة في رواية تشرفت برحيلك. لأننا عند دراستنا لهذا البعد وتطبيقه على الرواية فإننا اعتمدنا على مفهوم البعد الجسمي وما يحتويه هذا ما سهل علينا تطبيقه على مضمون الرواية.

فالرواية عبارة عن وصف وسرد لأن بطلة الرواية عندما بدأ في سرد أحداث الرواية تبدأ أولا بوصف نفسها، ثم تنتقل بذلك إلى عرض صفات كل الشخصيات الموجودة في الرواية، ليتجسد هذا البعد فعلا في الرواية.

فهذا البعد ساعدنا كثيرا في تحليلنا للرواية، لأن به حددنا الأوصاف وقدمنا الشخصيات كبطاقة تعريف لها، مثلا لون البشرة، الشكل، (جميلة، قبيحة)، الجنس (ذكر، أنثى)، المهنة، يعني إعطاء مواصفات الشخصية بالتدقيق لذلك حددناها لتكسب الرواية قالبا فنيا يتسم بالجمالية في سرد الأحداث الروائية والكشف عن الشخصية.

إذن نستنتج أن البعد الجسمي هو بمثابة بطاقة تعريف للشخصية لتحديد هويتها، وكذلك يساعد البعد الجسمي القارئ على تحديد هيئة هذه الشخصية وما يظهر عليها انطلاقا من الملامح والأوصاف التي تحتويها، وأي دراسة للرواية فيما يخص الشخصية تنطلق الرواية من اتباعها لهذا البعد، لأن كل رواية يتجسد فيها البعد الجسمي وبطبيعة الحال لأن الرواية عبارة عن وصف للأحداث ويتجلى هذا في تطبيقها للشخصية،

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 48.

فاعتمدنا هذا البعد لأنه ساعدنا على فهم بنية هذه الشخصية فدرسنا الشخصيات بصفة عامة، لأن الرواية مليئة بالأوصاف للشخصية تقريبا كل الشخصيات تجلى فيها هذا البعد، لنقول أن هذا البعد استثنائي، في دراستنا للرواية كشف لنا البعد الجسمي خبايا الشخصية وعلاقتها بالرواية.

فالبعد الفيزيولوجي يعتبر المظهر العام للشخصية ويتجسد ذلك في ملامحها وأوصافها وسماتها وشكلها... وغير ذلك. كما للبعد الجسمي له أولوية كبرى في رسم ملامح الشخصية وتمييزها عن غيرها.

الفصل الثاني:

البعد النفسي للشخصية الروائية في الرواية

المبحث الأول: شخصية فاطمة في البعد النفسي

المبحث الثاني: الشخصية فاطمة وفق قواعد علم النفس عند "فرويد"

المبحث الثالث: شخصية فؤاد وعقدة أوديب

"إن دراسة هامون تفتح آفاق جديدة للباحث"[1] ويجب أن يستفيد منها، وإذا أردنا تصنيف الشخصيات في هذا البعد وفق تصنيف "فيليب هامون" فإننا نجد فئتين من بين الثلاث فئات التي اقتصر فيليب هامون تصنيف الشخصيات عليها وهي:

* فئة الشخصيات المرجعية: "والتي تدخل ضمنها الشخصيات التاريخية"[2] ويظهر هذا عندما شبهت "فاطمة" – بطلة روايتنا – "طارق" بشخصية تاريخية في إشارة إلى البطل "طارق بن زياد" الذي قام بفتح الأندلس عام (711-96 هـ) حيث قالت فاطمة:

"-طارق، أنت هو فاتح الأندلس إذن.

- تحفظين دروس التاريخ جيدا أنت مجتهدة"[3].

فمن شدة حبها لـ "طارق" شبهته بشخصية البطل التاريخي "طارق بن زياد"، وذلك من أجل مجاملته، وبالرغم من أنه توجد الكثير من الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية مثل (طارق . ناصر . فؤاد... إلخ) إلا أن الشخصية "فاطمة" لها الدور الأبرز في "البعد النفسي" لذا خصصنا هذا الفصل كله لدراستها وإبراز مختلف الأحوال النفسية التي عانت منها في زمن العشرية السوداء.

[1] فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، مدينة اللاذقية، سوريا، ط 1، 2013، ص 8.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، شارع جاندارك بناية المقدسي، بيروت ط1، 1990، ص216.

[3] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 19.

1. شخصية فاطمة في البعد النفسي:

يعد هذا "البعد اللوحة النفسية للشخصية... يرسم هذا من خلال وصف السمات النفسية للشخصية"[1] وبالطبع هذا البعد يعتمد على قواعد المنهج النفسي الذي يرتكز على نظريات علم النفس ومدرسة التحليل النفسي التي جاء بها "فرويد" فهو يبرز لنا تقلبات النفس ومعنوياتها مرتفعة كانت أم منخفضة ويسعى لإبراز ميولاتها ورغباتها و"كفاية الشخصية بالنسبة لهدفها، ويتبع ذلك المزاج: من انفعال وهدوء، ومن انطواء أو انبساط، وما وراءها من عقد نفسية محتملة".

وهذا ما حدث مع بطلتنا "فاطمة الزهراء" والتي كانت شابة يافعة تحب الحياة وتريد أن تنجح في دراستها وتصبح امرأة مثقفة وعاملة وأن تعيش بحرية وتحصل على حقوقها لكن للأسف الظروف في ذلك الوقت لم تسمح بهذا حيث كانت "فاطمة" تدرس في زمن العشرية السوداء وهذا أثر على نفسيتها كثيرا، في البداية كانت "فاطمة" طموحة جدا حيث كانت تدرس في السنة الثانية ثانوي وكانت دائمة اللقاء بصديقتها سعاد التي كانت دائما ترفع من معنوياتها وتجعلها تضحك حيث تقول بطلتنا "لا أدري لماذا أجد ذاكرتي تبدأ التأريخ من السنة الثانية ثانوي بالذات. ربما لأنه العام الذي بدأت فيه أدرك حجم طموحاتي ومواهبي، لكن على الأرجح أن ذاكرتي بدأت التأريخ في هذا العام لأنه العام الذي انفجرت فيه المشاعر والأحلام في داخلي"[2]، كانت "فاطمة تحلم بحياة جميلة ومليئة بالحب والنجاحات وكانت تحب صديقتها كثيرا وتشارك معها كل أسرارها وتساعدها عند حزنها تقول: "أشعر بالأمان معها لأنها تجيد الدفاع عن نفسها. سعاد مرحة وتحب الحياة"

[1] محمد جواد بورعابد، سيد حيدر شيرازي وآخرون، أبعاد الشخصية في رواية: "ترنيمة امرأة... شفق البحر"، لسعد مجمد رحيم، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها نصف سنوية دولية محكمة، السنة العاشرة، العدد الثلاثون، جامعة تشرين السورية، جامعة سمنان الإيرانية، 2020، ص 58.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 14.

لكن "فاطمة" زادت الحماسة في نفسها وارتفعت معنوياتها أكثر منذ التقائها بذلك الشاب "طارق" فأصبح سر سعادتها في تلك الثانوية وكلما رأته تسارعت دقات قلبها "كنت متحمسة جدا للذهاب إلى الثانوية، فهناك يوجد شخص أحب أن أراه، تتسارع دقات قلبي كلما لمحته في الساحة وهو يرمقني بنظراته"[1]وقد أصبح هذا الشاب سببا في فرحها واطمئنان قلبها "كنت أحب أن أراه كل يوم حتى يطمئن قلبي، وأشعر بالفرحة العارمة كلما صادفته"[2]، "فاطمة" كأي فتاة كانت تحلم بفارسها وتفكر به في أحلامها بالرغم من أنها لم يكن لديها أي فكرة عن مشاعر الحب "آنذاك لم يكن لدي أي مفهوم للحب ولا أية فكرة عن رجل، وما كنت أقرؤه في كتب الشعر والروايات كان يغذي خيالي فقط دون أن يضعني أمام حقيقة معينة، لكني كأية فتاة في عمري كنت أؤمن بفارس الأحلام، أقول لنفسي: إن كان لابد أن أتزوج فإني أختار هذا الشاب..."[3] وتقصد بكلامها "طارق"، وعندما دار أول حديث بينهما كانت سعيدة جدا وفي نفس الوقت متوترة لم تعرف كيف تخرج الكلمات "دق الجرس ثانية وبدأ التلاميذ ينتظمون في صفوف، وكان علينا أن نلتحق بهم. ابتسم وقال:

. حظا سعيدا.

أجبته بالمثل والسعادة تغمرني، لا أدري كيف أتذكر هذه التفاصيل اليوم، فقد حسبت بأني فقدت معظم ذاكرتي"[4] دليلا قويا على سعادتها إضافة إلى أن كلاهما كانا يحبان الشعر وهذا ولد لدى فاطمة إحساسا جميلا.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص14.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] المصدر نفسه، ص 14.

[4] المصدر نفسه، ص 16.

"هيا دعينا نقرأ بعض الشعر، فقد مللت من المعادلات، ما أروعه من إحساس أن تتشارك مع شخص تحبه شيئا تحبه"[1]، ميول فاطمة نحو مشاعرها كان قويا ولم تكن تعتبرها مشاعر مراهقة بل مشاعر حقيقية ستكبر مع الوقت بالرغم من أنها كانت تعيش في زمن من الصعب أن تكشف فيه عن مشاعرها بسهولة "تذكرت عبارة قرأتها في مكان ما تقول إننا في المراهقة نقع في الحب بسرعة وبأول شخص نصادفه لم تقنعني الفكرة لاعتقادي أن القلب لا يخطئ عندما يحب وليس للأمر علاقة بالعمر وأن العاشق الصغير سيكبر ويصبح عاشقا كبير"[2].

لكن "فاطمة" لم تكن تعلم أن معاناتها ستبدأ حيث أن بدايات معاناتها كانت في اللحظة التي قرأ فيها أخوها ديوان الشعر الذي استعارته من المكتبة وأخذته معها للمنزل بدأ الرعب يدب في قلب "فاطمة"

"بدأت الآن أعي بعض معاني كلمة إرهاب رغم أننا تشاجرنا مرارا وتكرارا من قبل وضربني بلا سبب، لكن السبب هذه المرة حقا غير معقول"[3].

وفي إحدى المرات كانت فاطمة تتهيأ للخروج وكعادتها مشطت شعرها وارتدت هندامها لم تكن متحجبة ولحظة خروجها أوقفها أخوها "فؤاد" وصرخ في وجهها من أجل تغيير ثيابها:

". اذهبي وغطي شعرك قبل أن أقطع لك رأسك.

جريت نحو الباب لأغادر لكنه لحقني وشدني من شعري. جرني من فناء الدار إلى مدخل البيت وانهال علي باللكمات والركلات"[4] انهارت "فاطمة" وانكسرت مشاعرها وشعرت

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

[3] المصدر نفسه، ص 34.

[4] المصدر نفسه، ص 38.

بالتعب لما حدث حتى أنها لم تذهب للمدرسة في اليوم الموالي "رفضت الذهاب لأني كنت منهارة... فتحت باب الغرفة قليلا وبقيت أتنصت مع جميلة، ووجع الخوف قد شدني ثارت ثائرة أبي وهما ما عاد لهما وجه يستحيان به بعدما أخفياه وراء تلك اللحى المتوحشة"[1] وهذا بعدما دار بين أخويها ووالدها شجار بسبب ضرب فؤاد لها.

"فاطمة" كانت مصدومة من تعامل أخويها معها وخاصة "فؤاد" الذي كان عنيفا لأقصى حد حاولت "فاطمة" الذهاب للمدرسة دون وضع الحجاب مع والدها وكان الخوف يملئ قلبها وفي نفس الوقت كنت منكسرة الخاطر بسبب معاملة أخويها لها "لم أسمع شيئا مما قاله الأساتذة في ذلك اليوم، بالي مشغول وقلبي مكسور، ولولا أن طارق جلس معي قليلا وخفف علي ما كنت لأستعيد توازني"[2] كل هذا أثر على "فاطمة" وتأزمت نفسيتها أكثر خاصة عندما علم من في البيت أن أخويها إرهابيين تسلل الخوف إليهم من كل الجهات لم تعد "فاطمة" قادرة على التركيز في دراستها والبكالوريا على الأبواب فحاولت أن تلملم أفكارها وتراجع قليلا واجتازت البكالوريا في أسوء الظروف لكن للأسف لم يحالفها الحظ في النجاح وكم كان هذا مؤلما بالنسبة لها خاصة صديقتها "سعاد" و"طارق" الذي تحبه كثيرا قد نجحا، انكسرت بعدما كانت تخطط للذهاب إلى الجامعة "اجتزت امتحان البكالوريا في أسوء حال وبقيت أنتظر النتائج بشغف وخوف. كانت فترة فراغ ذهني وعاطفي لم أستطع فيها التفكير بشيء ولا حتى في "طارق"، فالخوف شلني تدريجيا"[3] وتواصل فاطمة قولها بعدما انكسر خاطرها وانصدمت من الرسوب: "زهرة... يا زهرتي الغالية، لا تخافي كل شيء سيكون بخير.

. لم أنجح صحيح؟

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 39-40.

[2] المصدر نفسه، ص 40.

[3] المصدر نفسه، ص 47.

. أنا أيضا لم أنجح المرة الأولى.

فقدت توازني وأمسكني من ذراعي وأسندني إلى عمود قريب.

. هذه ليست نهاية العالم ستعيدين البكالوريا وستنجحين وسنواصل المشوار معا"[1]

وبعدها قالت فاطمة جملة تدل على صعوبة إمكانية إعادتها للبكالوريا بخوف وإحباط:

"لن يتركوني، "فؤاد" يظل يقسم بأنها فرصتي الوحيدة. وأني إذا لم أنجح سأمكث في البيت"[2].

هنأت "فاطمة" "صديقتها" و"طارق" لكنها لم تمسك نفسها ولا دموعها من كثرة تراكم الصدمات وخاصة صدمة الرسوب بعدما كانت فرصتها الأخيرة من أجل الذهاب للجامعة والخروج من الجحيم الذي تعيش فيه:

"جاءت سعاد إلينا كاتمة فرحتها بالنجاح:

. مبارك طارق، أما أنت فاطمة الزهراء ففرحتك مؤجلة إلى العام المقبل وما العام المقبل ببعيد.

هنأتها وانفجرت دموعي كما تنفجر قارورة الكولا بعد رجها، اغرورقت عيون طارق بالدموع أيضا وراح يمسح على شعري هامسا في أذني:

. أيا زهرتي أرجوك لا تحزني، فلا شيء يقتلني قدر حزنك"[3].

وكما قالت عن فؤاد بخصوص إعادة البكالوريا فقد أقسم بأنها لن تعيد الامتحان وإلا سيقتلها وقد تحدته "فاطمة" رغم خوفها ونفسيتها المنكسرة بأنه ليس رب المنزل كي

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 47-48.

[2] المصدر نفسه، ص 48.

[3] المصدر نفسه، ص 48-49.

يقرر لكنما تلقت ضربا مبرحا كجزاء على جرأتها مع أخيها" اقسم بالله العلي العظيم أنك لن تضعي قدمك خارج البيت بعد اليوم!

. وهل أنت هو رب البيت! دعني وشأني!

. أنت لا تخافين من أحد! أتتحدينني يا غبية!

جريت نحو غرفتي وأغلقت الباب. دفعه والدخان يخرج من أنفه وأذنيه كالعادة... ركلني عدة مرات قبل أن تسحبني أمي من بين رجليه"[1] كانت فاطمة مذهولة مما حدث تتعرض للضرب من الشخص الذي يجب أن يكون سندها ليس هذا فقط بل قام بتمزيق كراريسها وكتبها أمامها، يحطم مستقبلها الدراسي أمام عينيها كإعلان صريح أنه من المستحيل أن يسمح لها بإعادة البكالوريا "راح يمزق الكتب والكراريس الموضوعة جنب سريري ويرميها على الأرض. جاء أبي ووجدني مطروحة على الأرض لأبكي وفؤاد مزال يمزق كراريسي"[2] تواصل فاطمة قولها بانكسار وحزن: "أغلقت الباب وأغرقت بدموعي مدينة بومرداس والبحر الأبيض المتوسط الذي تطل عليه، وسط كتبي وكراريسي عرفت أن فصلا جديدا من المآسي قد بدأ في حياتي"[3]، كانت تحاول "فاطمة" الخروج من نفسيتها المتعبة والمحطمة بكتابة شيء ما لكن لم تستطع ذلك فقد عجزت كلماتها . كما قالت . عن استيعاب حجم آلامها "عشت أيام الصيف شبه مخدرة، لم أكن واعية تماما بنفسي، دائمة التفكير والشرود، قليلة الكلام، وكثيرة الآمال والأحلام... حاولت عدة مرات كتابة شيء بحجم آلامي لكن مع كل محاولة كنت أكتشف عجز الكلمات لا شيء خربشته يعادل معاناتي... لا أجد سوى كلمة طارق تملأ المكان، بكل الأحجام والألوان"[4]،

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 51.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص 51.

[4] المصدر نفسه، ص 52.

كأن كتابتها لاسم "طارق" كان يعطيها نوعا من المواساة. بعدها حان موعد الدخول المدرسي، حاولت فاطمة تحدي أخيها بالذهاب للمدرسة لكنها لم تتمكن من النجاح في ذلك فقد حاول أخوها قتلها لولا أن خلصها عمها "عمر" من بين يديه "خلصني عمي منه والدماء تسيل من أنفي بعدما لكمني الوحش على وجهي... إلى غرفتي وجلس على طرف سريري، وضع يده على رأسي وأنا مطأطئة أبكي، واساني ووعدني بأنه سيعيدني للمدرسة"[1] لكن عمها جاءها بعرض آخر غير العودة للمدرسة وهو أن تصبح معلمة وتتخلص من حربها مع فؤاد بخصوص البكالوريا، لم توافق فاطمة لأنها تريد الجامعة من جهة لأنها تريد تحقيق أحلامها ومن جهة أخرى ذلك الذي تملك المشاعر اتجاهه "طارق" "لم لا تلتحقين بالمعهد التكنولوجي للتربية؟ من جهة ستتكونين لمدة سنة أو سنتين وبعدها ستوظفين مباشرة كمعلمة ومن جهة ستكونين في نظام داخلي وبالتالي ستوفرين على نفسك حروبا لا نهاية لها مع أخويك.

. لكني أريد الذهاب للجامعة.

. وماذا لو لم تنجحي مرة أخرى؟

. سأعيد الامتحان ثالثة ورابعة وخامسة"[2]، بقيت "فاطمة" مصرة على رأيها لأنها تريد الذهاب للجامعة كي تلتقي بـ"طارق"، تركها عمها لكي تفكر علّها تغير رأيها لكن من شدة تعبها لم تستطع التفكير من الجيد أنها بقيت واقفة على قدميها "من فرط إحباطي وإرهاقي لم أستطع التفكير في عرض عمي أمضيت ليلتي بين الصحو والنوم، وبين الحياة والموت"[3].

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 58.

[2] المصدر نفسه، ص 59.

[3] المصدر نفسه، ص 60.

عاد عمها ليعرف قرارها، حاول إقناعها إلى جانب والدها كانت مترددة لكن عندما سمعت كلمة "ابتدائي" غيرت رأيها لأنها تحب الأطفال الصغار كثيرا وهذه فرصتها للتخلص من الإحباط الذي تعيشه عن طريق تمضية الوقت مع البراءة التي لم يتسلل الخبث إليها "ستكونين في المعهد التكنولوجي للتربية الموجود في الرغاية. قرري واختاري أي مستوى تريدين، سنة واحدة للتعليم الابتدائي، وسنتين للتعليم المتوسط. ما رأيك؟

استمر صمتي للحظات أخرى ثم نطقت:

. ابتدائي.

فكرت أني أحب الأطفال الصغار قبل أن يتسلل إليهم خبث الكبار.

. حضري إذن شهادتك المدرسية وغدا صباحا سأمر لمرافقتك"[1].

كانت هذه فرصة "فاطمة" كي تتخلص من جحيم أخويها إلا أن خوفها من العمليات الإرهابية كان ملازما لها "خلال الأيام الأولى في المعهد كنت مشتتة ومضطربة، وأخبار العمليات الإرهابية تصلنا كل يوم بشكل أكثف وأعنف"[2].

2. شخصية فاطمة وفق قواعد علم النفس عند "فرويد"

استطاع فرويد "أن يرسم للجهاز النفسي خريطة أشبه ما تكون بالخرائط الطوبوغرافية، فقسمه إلى ثلاث مستويات، تمثل الثالوث الدينامي للحياة الباطنية الإنسانية:

* المستوى الشعوري «Conscient»
* ما قبل الشعور «Préconscient»
* اللاشعور «Inconscience»

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 60-61.

[2] المصدر نفسه، ص 62.

وهذا المستوى الأخير، هو الفرضية الأساسية التي تقوم عليها نظرية التحليل النفسي وينقسم بدوره إلى ثلاث قوى متصارعة، هي"[1]:

* "الهو: «Le ca»: هو النواة الأصلية للشخصية، وهو جزء أساسي في تكوين شخصية الفرد وهو مصدر كل الطاقات النزوية الضرورية لاستمرار بقاء الفرد.

* الأنا: «Le moi»: عند "فرويد" هو واجهة "الهو" الى العالم الخارجي... "فالأنا" وسيط بين "الهو" والعالم الخارجي، ويعقل المطالب النزوية "للهو".

* الأنا الأعلى: «Le sur–moi»: وإن كان "الأنا" يمثل العالم الخارجي "الأنا الأعلى" يمثل التصور الأخلاقي الداخلي لهذا العالم"[2].

وسنحاول في هذا البعد تطبيق هذا التقسيم على شخصية "فاطمة".

وإذا حاولنا تطبيق قواعد علم النفس التي جاء بها "فرويد" على شخصية "فاطمة" فإننا نجد هذه المسكينة قد عانت كثيرا من كبت مشاعرها وأحاسيسها إن كانت حبّاً أو احتياجاً، فقد كانت لديها الكثير من المشاعر المكبوتة في "الهو" والتي لا يمكن البوح بها وإلا لن تنجو من الموت على يدي أخويها، حتى مشاعرها نحو والدها كانت تكبتها لأن الكثير في مجتمعنا تعود على كبت مشاعرهم حتى مع أهلهم، "وفي مساء آخر يوم من الأسبوع وجدت أبي عند مخرج المعهد ينتظرني وقد كبر وشاخ أكثر. قبّلته على خديه بشغف ولم أعانقه، فقد تعودنا على كبت مشاعرنا منذ الصغر حتى الأبوية منها"[3]، لكن مشاعرها التي كانت تكبتها في "الهو" معظمها كانت عن "طارق" الذي أصبح كذكرى

[1] زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1998، ص 10.

[2] د. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1990، ص 15–16–18.

[3] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 62.

موجعة بالنسبة لها "ما أوجع الحب حينما يصبح مجرّد ذكرى"[1]، أو عندما بدأ "طارق" بمراسلتها وكانت "سعاد" مرسال الحب بينهما حيث أن أول رسالة وصلتها من "طارق" بعدما أصبح في الجامعة التهمتها كالجائع الذي لم يأكل منذ مدة فسيطرت عليها مشاعرها المخفية في "الهو" وبدأت تقرأها بلهفة، "سحبت الرسالة والتهمت كلماتها على عجل. رسالة قصيرة ومتمايلة الأسطر. ووقعها على قلبي كوقع المطر على أرض عطشى.

زهرتي الغالية

كيف أنت أيتها العذبة الحنونة؟

أنا مشتاق إليك وخائف عليك

كوني قوية وسيزهر الربيع قريبا..."[2]

وقد طلبت منها صديقتها كتابه رسالة له كردٍّ على رسالته "كتبت له دون تفكير فيما سأقوله:

«طارق كم أشعر بالعجز أمام الكلمات فكل ما أريد قوله لا تسعه اللغات.

لذا سأكتفي بالقول إني أشتاق إليك.

وإن رسالتك قد أعادت إلي الحياة»"[3]

حاولت "فاطمة" الالتقاء بـ"طارق" خاصة وأن لديها تربص في مدرسة ابتدائية قرب مدينة بومرداس يعني عليها الالتقاء به قبل عودتها للمعهد وقد نصحتها صديقتها بمكان لا

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 63.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 65.

يشكل عليهما خطراً ويكون أكثر أمانا كالجامعة وعندما حان اليوم المنتظر دخلت "فاطمة" الجامعة وهي خائفة أن يتعرف عليها أحدهم لكن ما إن رأت "طارق" حتى نسيت كل شيء لم يجدا الكلمات التي يعبران بها عن اشتياقهما لبعض "لدينا كلام كثير لنقوله، ومع ذلك فضلنا الصمت والتأمل فحينما تشتاق لمحبوبك تتزاحم الكلمات في ذهنك أثناء غيابه، لكن ما إن تلاقيه حتى تتوقف عن الكلام، وتدرك أن اللغة المنطوقة لغة عاجزة عن التعبير"[1]، أجل فالمشاعر المكبوتة والمخفية في "الهو" في بعض الأحيان لا تستطيع اللغة التعبير عنها. "افترقنا وقد عشت ساعتين من الزمن هما خلاصة السعادة في كل حياتي"[2].

وبالفعل كانت ساعتين مليئتين بالسعادة في حياة "فاطمة" ذلك اليوم، حيث أن المأساة الحقيقية كانت ستبدأ وذلك عندما وقعت إحدى رسائل "طارق" في يد "فؤاد" عندما أحضرتها أخت "سعاد" الصغيرة لـ "فاطمة"

ورغم أن سعاد قد أوصتها ألا تسلم الرسالة إلا في يدي "فاطمة" لكن الفتاة الصغيرة خافت وارتعبت من صوت فؤاد وسلمته الرسالة وعندما قرأها طبعا قامت الحرب "كلاكما سيموت على يدي. سأقتلكما معاً أفهمتِ!"[3]، غابت المسكينة "فاطمة" عن الوعي من شدة ضرب فؤاد لها كم هو صعب أن تكبت "فاطمة" مشاعرها النقية والصادقة بسبب أنه لا يوجد أحد يفهمها، رغبتها الموجودة في "الهو" تدفعها بشدة إلى أن تبحث عن طريقة لكي تعيش حبها دون أن تنكسر مشاعرها لكن هيهات مع أخ كـ"فؤاد" الذي لا يفهم صدق هذه المشاعر ونقاوتها ويظن كل شيء حرام، وعندما استيقظت "فاطمة" "عندما استفقت بعد حين تمنيت لو أني لم أفتح عيني من جديد، فجملة "سأقتلكما معا" لا تزال

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 68.

[2] المصدر نفسه، ص 70.

[3] المصدر نفسه، ص 76.

تزلزل حياتي، ليس موتي ما يخيفني إنما خوفي كلّه على "طارق""[1]، بدأت "فاطمة" تتعب نفسيا يوما بعد يوم وأصبحت بحاجة إلى الحنان والدفء أكثر من الحب وبما أن "الهو" هو "منطقة الرغبات المكبوتة"[2]أصبحت لدى "فاطمة" رغبه قوية في أن تحصل على ضمة تنسيها همّها وتداوي جروحها "آه لو يطل عليّ "طارق" في هذه اللحظات، كم أحتاج لأن يضمني إليه، لأن يمسح على وجهي وشعري، لكان شفائي في لحظات"[3]

وقد بدأ فصل معاناة آخر في حياة "فاطمة" عندما قرّروا تزويجها لرجل آخر غير "طارق" علما أن "طارق" قام بخطبتها مرتين لكن تمت مقابلته بالرفض من طرف أخيها المتوحش "فهمت أن الموضوع يعنيني فتسارعت دقات قلبي وارتعشت أطرافي خاصة بعدما سمعت قول فؤاد:

. حضّروا أنفسكم لأنهم سيأتون يوم الجمعة وانتهى الكلام".[4]

وبعد جدالها مع أخيها لأنها لا ترغب بالزواج ما دام قلبها معلقا مع "طارق" عادت لغرفتها منهارة ومحطمة النفسية "عدت إلى غرفتي منهارة في العادة أجلس على السرير وأضم وسادتي وأبكي عليها كاتمة صوتي، لكن هذه المرة رحت أذهب وأجيء في غرفتنا الصغيرة ممسكة برأسي:

. يا ويلي هذه هي مصيبة المصائب.

. باعوني في الجبل لإرهابي مثلهما!"[5]

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 76.

[2] زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 1998، ص 11.

[3] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 80.

[4] المصدر نفسه، ص 97.

[5] المصدر نفسه، ص 98-99.

وقد فرض عليها الزواج دون موافقتها وعندما علم "طارق" بالأمر وجد خطة وهي الهرب من أجل أن يعيشا معاً حيث أن له جدة ستستقبلهما عندها، فذهبت "فاطمة" لزميلتها وشرحت لها الخطة وقد أرادت "فاطمة" هذا بشدة فلم تعد قادرة على كبت مشاعرها بل تريد أن تعيشها مع "طارق" لكن والديها حالا دون ذلك، فوقعت "فاطمة" بين نارين، من جهة نار المشاعر المكبوتة التي تحرقها في "الهو" ومن جهة أخرى نار الضمير التي تعذبها من أجل والديها والتي يفرضها عليها "الأنا الأعلى" والذي "يمثل الضمير وشخصية المرء فيه تكون أكثر تحفظاً وعقلانيةً، حيث أن القيم الأخلاقية والمجتمعية هي المتحكمة فيه"[1]، فبسبب حب "فاطمة" لوالديها وازنت بين قيمها الأخلاقية وضميرها وبين مشاعرها المكبوتة في "الهو" وهذا ما يقوم به الأنا فهو "الوسيط بين الهو و"الأنا الأعلى" وهو المستوى الشعوري الواعي الذي يتعامل مباشرة مع المجتمع والعالم الخارجي"[2] تقول "فاطمة": "قبلته على رأسه وسألت الله أن يطيل عمره حينما أضاف:

. أتمنى أن تسعدي بهذا الزواج، إنه أفضل لك من البقاء هنا.

لم أتمالك نفسي وفاضت دموعي أمامه"[3]، لم تتمكن "فاطمة" من الهرب مع "طارق" بسبب حبها لوالديها وخوفا على سمعتها:

". لن أهرب معه.

. ماذا

. سيموت أبي وأمي قهرا إن فعلت.

. أنت من سيموت قهرا إن لم تفعلي

[1] زين الدين المختاري، مرجع سبق ذكره، ص 11.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 112.

. أنا أعرف فؤاد جيدا إن لم يكن إرهابيا فهو مشروع إرهابي، سيقتلني إن وجدني، وسيموت والدي قهرا وعارا.

ذهبت "سعاد" وحدها وهي تلومني وتتأسف لجبني"[1].

لكنها مرضت بعدها بشدة خاصة عندما علمت أن "طارق" يعيش في خيبة أمل لأنها تراجعت عن هربها معه، لم تتحمل "فاطمة" الضغط وألم التفكير فمشاعرها المكبوتة في الهو تغلبت عليها في تلك اللحظة.

وأرادت رؤية "طارق" لكي تخبره أنها تحبه ولا تريد ذلك الزواج، فذهبت مع أختها "جميلة" إلى الشاطئ مكان "الحجرة السوداء"، لكي تراه وقد كانت مريضة جدا لدرجة أنها سقطت على أقدامها مرتين وعندما رأت "طارق" سقطت للمرة الثالثة "كان جالسا مع الشيخ "الطاهر"، ولحظة أبصرته عيناي هويت مرة ثالثة. أفقت وأنا ممددة على الرمل وعلى جانبي "جميلة" تبكي، و"طارق" يحمل رأسي مناديا:

زهرة... يا زهرة... هيا أفيقي...

. يا مجنونة لم فعلت هذا بنفسك؟ أستموتين من أجلهم؟

. بل من أجلك أموت. لو لم أراك اليوم لمت فعلا. جئت لأقول لك أني أحبك، وأني أريد الذهاب معك"[2]، سكت "طارق" فهو لم يرد ذلك لأنه رأى أن "فاطمة" متعبة وهزيلة لأقصى حد وكانت تعاني من إرهاق شديد ومزمن، كيف لا ونفسيتها ومعنوياتها تحت الصفر يقال أن المرض يكون بسبب الأكل السيء لكن النفسية المنكسرة تصيب بعدة أمراض، وهنا قرر "طارق" خطبتها مرة أخرى لكن والدها رفض ذلك وقال أنه زوجها لرجل آخر وهو "ناصر" الذي ستعيش معه فصل مأساة آخر وهو أقصى وأبشع فصل في حياتها، بعدما

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 113-114.

[2] المصدر نفسه، ص 118-119.

تزوجت "فاطمة" من "ناصر" بدأت معاناتها الحقيقية والسجن الذي يشبه سجن "غوانتانامو" وسط عائلة كلها إرهاب، سوى أخو زوجها الأصغر "رياض" الذي يعتبر الأفضل بينهم إلى جانب أخت زوجها "رقية"، وفي إحدى المرات قررت فاطمة مباشرة عملها لكن "ناصر" قابلها بالرفض بعدما وافق على هذا الأمر أثناء الخطبة حيث أن العمل كان شرط "فاطمة" وعندما أرادت مجادلته في الأمر قام بصفعها معلنا عن بداية الجحيم الذي ستعيشه في هذا الزواج الذي يشبه السجن:

". قلت إنك لن تعملي وانتهى الكلام.

. لا لم ينته فالآن فقط قد بدأ، عيب أقسم أنه عيب أن يعد الرجل بشرفه ثم لا يفي!

قبل أن يرد طرفي إلي كان قد صفعني بما يملك من قوة ومن فرط ذهولي ومن صدمتي أمسكت خدي وبقيت صامتة للحظات:

. وتضربني أيضا!

. أقتلك إن شئت!"[1]

صدمتها كانت قوية لأقصى حد فهي ظنت أنه رجل مثقف ومتفتح كأنه ليس ناصر الذي رأته عندما ذهب لخطبتها لكنها عادت للعمل بعد إصرار والدها وعمها على "ناصر" بعدما ساعدها "رياض" في التواصل معهما، بعد مدة كانت "فاطمة" ستحصل على أول راتب فأخذها لكي تسحبه متذمرا وبعد مدة أحضر معه ورقة تتضمن بأن تمنحه الوكالة لكي يسحب أموالها لم توافق لكنه كالعادة بدأ بركلها وضربها دون مراعاة لمشاعرها فوافقت المسكينة رغما عنها لكن حدثت –بعد ذلك الضرب– مأساة صادمة لـ "فاطمة" تقول بعدما ضربها: "جثمت في مكاني لساعات أبكي واندب حظي، وعندما أراد النوم أزعجه صوت نواحي. قام من السرير وشدني من شعري مرة أخرى وأوقفني آمرا أن أسكت

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 132–133.

وأدعه ينام. حينها وقفت كان فستاني قد ارتسمت عليه بقعة كبيرة من الدماء من الوراء، وعلى الأرض بقايا دمائي. لم أفهم ولم يفهم ما حدث. أطلق شعري وابتعد قليلا كأنما قززه الأمر أو أخافه"[1]، "فاطمة" المسكينة ظنت أنها آلام الطمث لكن للأسف لم تكن كذلك بل كانت مصيبة حيث أنها أجهضت أول طفل لها على يد والده الرجل المتوحش "بلغ ألمي حدا لا يحتمل، ورغما عنه وافق فاتح على أخذي إلى المستشفى بعدما سمع الجيران صراخي، وفي الاستعجالات علمت أني كنت حاملا وها قد أجهضه والده بركلاته! ... بدأت الآن أعي حجم المأساة التي سأعيشها في هذا الزواج، ولكن ردي لم يكن سوى الصمت"[2] طبعا حلها الوحيد الكبت، بعد مدة أصبحت "فاطمة" أما لطفلتها "أمال" وبعد فترة أخرى أنجبت طفلا آخر وحامل بالثالث بدأت تتذكر "طارق" خاصة عندما التقت بسعاد صديقتها سألتها عن أحوالها وعلى الفور بدأت تسألها عن "طارق" "كنت آمل أن يأتي إلى المدينة هذا الصيف، ليس طمعا في لقائه، إنما لأواسي نفسي بقربه فقط، لكن سعاد تقول بأنه سيقضي العطلة الصيفية في تلمسان، سألتها إن كانت لديه صديقة فردت علي ساخرة:

. لو كانت لديه صديقة لتخلص من مربط شعرك الذي لا يزال في معصمه.

اقشعر بدني عندما فكرت أنه لا يزال يحملني في قلبه كما في معصمه"[3].

بالرغم من أنها متزوجة لكنها لم تتمكن من نسيان "طارق" فهو حب حياتها إضافة إلى أن زواجها من "ناصر" إجباري وبالكاد يعتبر زواجا إنما هو سجن ومعتقل للضرب والركل وكسر القلب والمشاعر فكانت "فاطمة" تعالج جراحها بتذكر "طارق" الذي تحبس مشاعرها اتجاهه في قلبها "لا يمر يوم دون أن أفكر فيه في طارق عدة مرات، كذلك هو

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 140.

[2] المصدر نفسه، ص 140.

[3] المصدر نفسه، ص 146.

الحال معه. العاشق لا ينسى حبيبه بعد الزواج، أو بعد الأولاد، وربما بعد الموت لا ينساه..."[1]، أصبحت حياة "فاطمة" الزوجية تسوء أكثر وتسوء أحوالها النفسية معها بسبب تعنيف "نصر" لها والذي لم يكن متعاطفا معها البتة كأنها ليست إنسانة "حياتي الآن كموتي، حياة بلا حياة... أعيش مع زوج وأربعة أطفال في غرفة واحدة... صفعني ثم شدني من شعري وبدأ يضرب رأسي على الجدران وأنا أستنجد لم يأت لنجدتي أحد!... في الغد أصبح وجهي منتفخا ومزرقا لدرجة أن أولادي خافوا مني!.

لم أكن أقوى على شيء، مستلقية كالميت في فراشي أردد: "يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا"... ليس الموت بشيء سيء، فالموت بالنسبة لي رحمة لا توصف يا ليتني مت على يد فؤاد، أو في أي حادث، فما أجمل الموت في نهاية الأمر!"[2] تحطمت نفسيتها أكثر من جسدها لدرجة أصبحت تطلب وتتمنى فيها الموت كي ترتاح.

لكن معاناة "فاطمة" ازدادت نحو الأسوء عندما علمت بمرضها الخطير والخبيث وهو مرض السرطان "يؤسفني سيدتي أن أخبرك بأن لديك ورما خبيثا، أعني أنه سرطان!!! ما إن سمعت بكلمة "سرطان" حتى أغمي علي وسقطت من فوق الكرسي"[3]فصل آخر من المعاناة يجتاح حياة فاطمة ويكسر نفسيتها أكثر رغم هذا لم تستسلم فاطمة وحاولت المواجهة والكفاح مع نفسية محطمة ومكسورة وأرادت العودة إلى مقاعد الدراسة عسى أن ترتاح قليلا مع تلاميذها، وبعد فترة بدأ "ناصر" يبتعد عنها بسبب تراجع جمالها ومرضها وهذا لم يفاجئها فهي لم تذق طعم السعادة معه "المرأة السعيدة تزداد جمالا كلما كبرت وإن كانت قبيحة، المرأة التعيسة تزداد قبحا كلما كبرت وإن كانت جميلة"[4].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 146.

[2] المصدر نفسه، ص 160-164-165.

[3] المصدر نفسه، ص 185.

[4] المصدر نفسه، ص 193.

حتى أنه قام بخيانتها فوق تلك التعاسة التي جعلها تعيشها، وبعد شفائها من المرض عاد إليها مرة أخرى من شدة الصدمات التي عاشتها في حياتها حيث أن المنزل الذي اشتراه "ناصر" والذي ظنت أنه من أجلها، اكتشفت أنه من أجل المرأة التي تدعى "نجاة" "تدهورت صحتي من جديد بسبب عودة المرض الورم المشؤوم، والحل هذه المرة بتر الثدي المريض كاملا!!"[1]

تدهورت صحتها الجسدية والنفسية أكثر، كانت "فاطمة" بحاجة إلى الحب والحنان في تلك اللحظة الصعبة وهذا ما ذكره "فرويد" في تقسيمه حيث أن المرء يحتاج إلى الحب والحنان عندما يشعر بالضعف فتكون نفسيته محطمة وهذا شعرت به فاطمة مع تلميذها أمين عندما دخل غرفتها لمعاينة حالتها، ونحن هنا أمام الفئة الثانية من تصنيفات فيليب هامون وهي:

فئة الشخصيات المتكررة: وقد صنف "فيليب هامون" ضمن هذه الفئة الشخصيات المقوية لذاكرة القارئ "أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ مثل الشخصيات المبشرة بخير"[2] فشخصية "أمين" تلميذ "فاطمة" يمثل الشخصية المبشرة بخير، فهو كان يدرس عند "فاطمة"، ثم نضج وأصبح طبيبا في مستشفى وطبعا كان في بداياته حيث أن البروفيسور. الذي كان سيجري العملية لفاطمة . أشرف عليه، كانت سعيدة جدا عندما علمت أنه تلميذها فلقد شعرت بأنها أنجزت شيئا مهما في حياتها:

". أنت السيدة فاطمة الزهراء؟

. نعم.

. هل تسمحين لي بأن أضمك إلى صدري!!!

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 201.

[2] د. حسن بحراوي، مرجع سبق ذكره، ص 217.

التزمت الصمت متفاجئة وبقيت أتأمله.

. ماذا قلت دكتور... آه معلمتي العزيزة هل نسيت تلميذك أمين!!"[1] سعادة "فاطمة" بتلميذها كانت كبيرة وهذا أعطاها دفعة معنوية أنستها . لبرهة من الوقت . الألم الذي تمر به "لم تحتويني الدنيا، ولم يحتو صدري المفجوع فرحتي، ولا احتوت اللغة كلماتي! بلهفة ورعشة فتحت ذراعي بأقصى ما أستطيع:

. ضمني ضمني يا عزيزي أمين!!

أمسكت وجهه بين يدي ناظرة إليه بلا شبع، وبين عيني صورته وهو طفل:

كم كبرت يا أمين! كم اشتقت إليك! أتعرف بأني ما زلت أحتفظ بجميع رسائلك؟"[2]، تحسن نفسية "فاطمة" قليلا بعدما رأت تلميذها في هذه المكانة "شعرت بأني أنجزت شيئا ما في حياتي، فلا شيء يسعد المعلم أكثر من رؤية أحد تلاميذه ناجحا في الحياة"[3]

فاطمة في نفسها وبداخلها كانت ترغب في أن يضمها تلميذها، كي تشعر ببعض الحنان فهي تعتبر "أمين" كأحد أبنائها وقد حزن أمين أما تمر به معلمته "جلس على طرف السرير وعانقني، وبكيت بكاء ليس له مثيل... وقبلني على جبيني"[4]، كل ذلك الكبت والغضب الذي كانت تخفيه فاطمة في قلبها سبب لها ذلك المرض وجعلها ضعيفة تبحث عمن يمنحها الحب والعطف بعدما حرمت من حب أخويها وحتى أمها وزوجها "السرطان يسبب الكبت والغضب لا يداويه سوى الحب والحنان"[5].

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 206.

[2] المصدر نفسه، ص 206-207.

[3] المصدر نفسه، ص 207.

[4] المصدر نفسه، ص 206.

[5] المصدر نفسه، ص 211.

وبعد مدة لم تتحمل فاطمة ذلك الكبت وأيضا خيانة زوجها العلنية، فانفجرت بعدما كانت بركانا خامدا:

". الضرب هو كل ما تعرف فعله!

فرج الجيران إن شئت فقد تعودوا عليك

. قلت أغلقي فمك واخرجي

. لن أغلقه... إنك أسوأ الرجال وأنا سترتك خلال كل هذه السنوات!

انتفض من مكانه، ورمى هاتفه على المائدة، اندفع نحوي كثور هائج، وصفعني صفعة لم أتلق مثلها يوما:

. أنت سترتني وليس أنا من سترتك؟

بدءا من هذه اللحظة أنت طالق، طالق، طالق..."[1]

من ناحية كانت حزينة من أجل الأولاد لكن من ناحية أخرى تخلصت من سجنها معه وأحست أن هذه آخر محطة للحزن "جثمت على الأرض وأولادي حولي يبكون... حاولوا إنهاضي لكن لم أستطع النهوض، هذه الضربة ستكون الأخيرة..."[2]، بعد معاناتها قررت الذهاب للعاصمة والتي كانت تحلم دائما بالذهاب إليها وبعد كل هذه المدة الطويلة لم تنسى "طارق" الرجل الذي أحبها بصدق "أخذت قلما وبقايا كراس، ولم أستطع كتابة شيء حاولت أن أرسم لكن لا أعرف الرسم أيضا، خربشت بعض الخربشات ثم أغلقت الكراس وما كتبت سوى كلمة طارق"[3]

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 227.

[2] المصدر نفسه، ص 227.

[3] المصدر نفسه، ص 241.

تشجعت فاطمة بمساعدة من كريمة صديقتها ومن السيدة التي كانت تقيم عندها بالعاصمة، وكتبت كتابها الذي تحكي فيه عن معاناتها وعن أمراضها النفسية وحتى الجسدية وشعرت بالراحة النفسية بعدها وأن نفسيتها متوازنة بعدما كانت تعاني من الكبت في "الهو" الذي كان يسيطر عليها بسبب احتياجها للحب والحنان والعطف "يمكنني القول بأنني تصالحت مع نفسي ومع تاريخي وبأني تعافيت من أجل أمراضي النفسية والعقلية والجسدية"[1] لكن فرحتها لم تكن كاملة لأن "طارق" لم يفارق تفكيرها ومشاعرها، تجاهه لم تتغير، ولكن هذا الفراق آن أوانه لكي ينتهي وهذا بالضبط في الصالون الدولي للكتاب حيث كانت فاطمة حاضرة لتوقيع بعض النسخ من كتابها وقد كان "طارق" موجودا بين الحضور "امتدت أمامي يد حاملة الكتاب، وعيني الناظرة إلى اليد تلمح شيئا أسود في المعصم!

. صباح الخير زهرة؟

. زهرة! أقال زهرة! لا أحد يناديني زهرة!

رفعت عيني من يده إلى صدره، ثم إلى وجهه... وعندما رأيته لم أدرك أفي حقيقة أنا أم في حلم

. منذ مدة وأنا أنتظر دوري هلا وقعت لي!

. طارق!!!

صرخت ووقفت...

. طارق!!

. أعدت وكررت

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 246.

. طارق

قلتها ثالثة وقلبي قد كسر أضلعي، وعرج إلى السماء السابعة في لحظات...

. آه يا زهرتي كم افتقدتك!!!"[1]

وأخيرا بعد هذا الفراق التقت "فاطمة" بـ"طارق" بعد كل تلك المعاناة والجحيم الذي عاشته من قبل أن تلتقي به ". دعيني... دعيني أعانقك! مددت ذراعي قبل أن أخرج من زاوية الطاولة. تعانقنا أجمل وأحلى عناق بعد تاريخ طويل من العشق والحنين"[2].

لم يعد هناك داع لكي تخفي فاطمة مشاعرها في "الهو" بل يمكنها أن تعيش مشاعرها مع حب حياتها موازنة بين "الهو" و "الأنا الأعلى"، لقد عكست شخصية فاطمة المعاناة الحقيقية للنساء في العشرية السوداء فهي لم تستطع أن تعيش حبها مع الرجل الذي كان صادقا في مشاعره معها، فعاشت بنفسية متعبة أو بالأصح محطمة ومنكسرة حتى أخويها قد حرموها من حبهما، وأمها لم تكن تواسيها بل كانت تضغط عليها هي تحبها لكن من خوفها بسبب أولادها كانت تخاف عليها فتقوم بالضغط عليها من أجل الزواج فحرمت من الوصال بحب حياتها، لكن شاء القدر أن تجتمع به مرة أخرى.

3. شخصية فؤاد وعقدة أوديب:

إن "عقدة أوديب، عند فرويد هي قصة الحياة الجنسية الطفلية، وهي تتكون باعتبارها نتيجة الخبرات الجنسية والعدوانية التي يعانيها الطفل في علاقاته المتجاذبة مع والديه وهذه العقدة لها منابع ثلاثة: (ونحن يهمنا أول منبع): نفسي وهو حب وكره الأب، وهذا ما يجعل الطفل يتماهى مع الأب..."[3]، سنحاول تحليل شخصية فؤاد وفق هذا

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 247-248.

[2] المصدر نفسه، ص 248-249.

[3] د. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص 18.

المنبع، فؤاد الذي كان دائما في تناقض مع والده، فبسبب عدم اتفاقه مع والده واضطراب العلاقة بينهما تكونت لديه عقدة نفسية والأمر لم ينتهي لصالحه "يرى فرويد أن عقدة أوديب هي ظاهرة عالمية شاملة، وأساسية في طفولة كل فرد منا، وإن كل شيء يتوقف على الكيفية التي تحقق بها تلك العقد"[1]، فالمسار الخاطئ الذي سلكه فؤاد يعتبر كدليل على أنه لم يكن قريبا من والده في صغره أي أنه لن يتمكن من التعبير عن حبه لوالده ونفس الشيء بالنسبة لأبيه، والسبب هو العادات والتقاليد التي كانت منتشرة في تلك الفترة والتي لم تكن عادلة مع فؤاد في المرحلة الطفولية ما أدى إلى توليد عقد نفسية لديه بوصوله إلى سن الرابعة والعشرين، وقد بدأ في إفراغ اضطرابه النفسي على أختيه فاطمة وجميلة "بدأ أخي فؤاد يتغير، أربعة وعشرون عاما ترك الدراسة بمحض إرادته قبل أن يكمل تعليمه الأساسي، ولا شغل له سوى مراقبتي أنا وأختي جميلة وإصدار الأوامر لنا وترصد حركاتنا"[2]

وبما أن تلك الفترة كانت عنوانا للعشرية السوداء فقد تأثر بها فؤاد كل التأثر خاصة وأنه كان يعاني من الفراغ العاطفي "يرجع فرويد جميع الاضطرابات النفسية في مراحل الرشد إلى أنواع التثبيت في مرحلة الطفولة، فالطفولة قادرة على تقبل كافة التأثيرات واستعادتها في مراحل البلوغ والرشد"[3]، وبما أن تصرفات فؤاد توحي بأنه يعاني من اضطرابات نفسية فهذا ربما ناتج عن النمو السلوكي الذي اكتسبه في سنواته الأولى "فرويد أن السنوات الخمس الأولى هي سنوات حاسمة وأساسية في التكوين النهائي للشخصية الأساسية، وأن النمو السلوكي الذي نشأ عليه الطفل في السنوات الأولى من

[1] د. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص 19.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 7.

[3] د. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص 23.

الحياة له أثر هام في تحديد نمو الشخصية في الأطوار اللاحقة"[1]، وكأن فؤاد كبر قبل أوانه مع انتشار موجة الإرهاب التي أشبعت فراغه العاطفي وعلاقته المضطربة بوالده "لحظات ودخل أبي، فقد أخبره أحد الجيران أنه رأى فؤاد قادما، فأغلق الدكان سريعا وعاد إلى البيت:

- أين أنت يا ولد؟

- لست ولدا ألا ترى أن أمامك رجلا!"[2]

كانت موجة الإرهاب المنتشرة كمنعكس لفؤاد لكي يملئ منه الفراغ الذي يعيشه وأراد إثبات نفسه بطريقة كانت خاطئة تماما: "في ذلك الوقت تواصلت غيابات فؤاد وتصرفاته المريبة، يحلل ويحرم كما يشاء مقحما الله في كل شيء وهو ضئيل المعرفة بالدين"[3]، حتى أن تعامل فؤاد مع أخته فاطمة كان مبالغا فيه لأقصى حد، خاصة بعد التحاقه بالجماعات الإرهابية "جاء أبي ووجدني مطروحة على الأرض أبكي وفؤاد مزال يمزق كراريسي. لم يكن أبي رجلا عنيفا بالمرة وكانت تلك أول مرة يرفع فيها يده على أحد منا، صفع فؤاد صفعة لن ينساها:

- كم قلت لك لا تمد يدك على بناتي؟

- أتضربني من أجلها!

دخل فؤاد في حالة هستيرية لا توصف، وغادر المنزل وهو يفور ويحلق:

[1] د. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، ص 23.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 8.

[3] المصدر نفسه، ص 27.

- أقسم بأني لن أبقى في هذا البيت يوما زيادة إذا هي عادت إلى الثانوية"[1]، كأن فؤاد كان يشعر بالغيرة على والده من فاطمة بسبب اهتمامه بها وخاصة عندما ضربه من أجلها ما عقد الأمور أكثر وجعل فراغه النفسي أعمق بكثير وزاد تعلقه بالإرهاب "أصبح أعنف من أي زلزال أو إعصار أو بركان. أعنف من كل مخلوقات الانس والجان!

- أنا إرهابي!!! اليوم ستعرفين ماذا يفعل الارهابي!!! في جزء من الثانية سحب سكينا من حيث لا أدري وهجم علي، شدني من شعري وأسقطني أرضا لم أفهم إن كان قد هم فعلا بذبحي أم كان فقط يهددني لأن سكينه بقيت عالية ولم ينزلها علي"[2]، فؤاد لم يعرف ما هو الحب أو ربما كان يحمل قدرا من الحب بداخله لكن الظروف لم تسمح له بإخراج ذلك الحب، ولم يحصل على ما يكفيه من العاطفة فلم يتقبل تزويج أخته للرجل الذي تحبه ورفض هذا رفضا قاطعا" أصبح فؤاد عنيفا ومفسدا لكل شيء. دخل في شجار معi وكرر عليه مرارا أنه لا يزال رب البيت وأني ابنته وهو من سيقرر مصيري، لكن لا أحد يستطيع ترويض ذلك الوحش جاء وهو يتمايل في الرواق والدم يسيل من أنفه، ودفع باب غرفتي برجله:

- يا فاجرة... تسربين أسرار الدار للرجال وتراسلينهم. كلاكما سيموت على يدي!"[3]، أو عندما مدح أخته أمام ناصر عندما جاء لخطبتها، فاستغربت أخته فاطمة هذا لأنه دائم الشجار معها "أستغرب أن فؤاد قد رأى في سمات زوجة صالحة، فطالما ناداني بالفاجرة، ولم يرض يوما عن سلوكي! هل مدحني حقا أمام صديقه؟ أيعقل أنه يحبني لكنه لا يعرف كيف يعبر عن ذلك! أم أنه يريد التخلص مني وإبعادي عن وجهه كي لا يرتكب

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 51.

[2] المصدر نفسه، ص 58.

[3] المصدر نفسه، ص 87.

جريمة قتلي يوما ما؟"[1]، ربما فؤاد يحب أخته لكنه ليس خبيرا في التعبير عن عواطفه، عاش فؤاد حياتا عاطفية مضطربة حسب أحداث الرواية، فهو لم يتفق مع أي أحد من أفراد العائلة خاصة والده، وهذا يدل على أن طفولته لم تكن تسير على ما يرام، فولد هذا عقدا نفسية جعلته يكبر قبل أوانه ويعيش فراغا عاطفيا مليئا بالمشاعر المكبوتة التي لم يستطع إخراجها للعلن بسبب العادات والتقاليد فملأ فراغه باتباع الجماعات الإرهابية والتي أدت إلى إنهاء حياته "فؤاد قد قتل على يد رجال الأمن بعدما حوصر ومن معه من الذين رفضوا تسليم أنفسهم وما زالوا في نشاطهم الإرهابي في جبال الأخضرية لقد تم التأكد من هويته لكن لن يسلمونا الجثة"[2] كانت نهاية مأساوية لفؤاد الذي لم يذق طعم الحب طول حياته.

وإذا اتبعنا قواعد "فرويد" في تحليله لشخصية الفنان فإن "فاطمة" اتخذت سبيل الإبداع في الرواية كي تتهرب من سلطة "الأنا الأعلى" وتعبر عن رغباتها ومكبوتاتها بوسائلها الفنية وعندما تنتهي من العملية الإبداعية تعود إلى حالتها الإنسانية الطبيعية والسوية.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 100.

[2] المصدر نفسه، ص 196.

الفصل الثالث:

البعد الاجتماعي للشخصية الروائية للرواية

المبحث الأول: تصنيف فيليب هامون للشخصيات

المبحث الثاني: الشخصيات في البعد الاجتماعي

قبل التعرف على الشخصيات التي تجسدت في البعد الاجتماعي نتعرف أولا على تصنيفات فيليب هامون التي كانت حاضرة في البعد الاجتماعي.

نظرا لأهمية الشخصية في العمل الروائي، فقد حاول كثير من الباحثين دراستها وتحليلها وتصنيفها كل حسب تصوره، وبذلك اختلفت وتعددت مفاهيمها وتصنيفاتها، مما أدى بالنقاد إلى اختلاف توجهاتهم ومنطلقاتهم ويحسن بنا أن نقف عند أهم هذه التصنيفات، وسوف نأخذ من هذه التصنيفات:

الشخصية عند فيليب هامون: حيث حاول هامون أن يستفيد من دراسة سابقيه، واعتبر مفهوم الشخصية مرتبطا أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها داخل النص[1]. وقد صنف الشخصيات إلى ثلاث فئات وهي كالآتي:

فئة الشخصية المرجعية، فئة الشخصية الواصلة، فئة الشخصية المتكررة.

والفئة التي كانت بارزة في البعد الاجتماعي الفئة المرجعية التي نجد فيها الشخصيات الاجتماعية (كالعامل أو الفارس أو المحتال)، فالشخصية المرجعية تجسدت في هذا البعد من خلال الشخصيات الفاعلة الاجتماعية وأول عنصر الذي نجده في هذا البعد، العامل الذي نجده في الرواية، بداية مع بطلة الرواية فاطمة الزهراء وتجسد هذا العنصر فيها، فهي معلمة في الابتدائي، ومحبة لعملها، تتعب وتعمل بجد وكد وقد ذكرتها الراوية أنها عاملة وتتحصل على المال، كما جاء في الرواية: "ولكني عاملة ولدي راتب، وهو يكفيني"[2].

فاطمة الزهراء، وعلى حساب تصنيف فيليب هامون تصنف من الشخصية المرجعية كونها جسدت عنصر العامل فذكرتها الرواية أنها تعمل معلمة لكي تحصل على

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 216.

[2] فيروز رشام، رواية تشرفت برحيلك، ص 112.

قوتها، خصوصا أن الواقع التي كانت تعيشه مليء بالظروف والمصاعب كالفقر، والإرهاب، والتشرد والحرمان، فتحدت الواقع ودخلت إلى المعهد التكنولوجي للتربية لتتكون، وبهذا أصبحت معلمة، مكافحة، محبة للتعليم الذي كان دائما سندها في هذه الحياة إلى أن أصبحت كاتبة مشهورة بعد أن كانت معلمة ليصبح لها مهنتين أبرزتهما الرواية.

وإضافة إلى هذا نجد فاطمة الزهراء من النساء المكافحات، وبالرغم ما جرى في حياتها من مشاكل إلا أنها لم تتخلى عن مهنتها، كونها تحب التعليم وهذا ما كان طموحها كما جاء في الرواية: "أجر نفسي يوميا إلى المدرسة جر الميت الذي لا رجاء فيه، ألبس دائما نفس الحجاب، ونفس الخمار، ونفس الحذاء، حاملة محفظة مقطعة بالية"[1].

وكما كانت من الأشخاص الذين لا يبخلون عن العلم، فكانت تمارس مهنتها من أعماق قلبها، من شدة حبها للأطفال، وتعليمها لهم كسبت مودة ورحمة، إلى درجة أنها كانت تحفظ معهم الأناشيد والقواعد، كما جاء في الرواية: "المدرسة ليست مشكلة، فقد حفظت جميع البرامج لكل المواد في كل المستويات، من السنة الأولى إلى الخامسة وكتلميذة مجتهدة أحفظ عن ظهر قلب كل الأناشيد والقواعد العامة والخلاصات"[2].

فكانوا التلاميذ بالنسبة لفاطمة الزهراء "المشروع الوحيد الذي استثمرت فيه بمحبة ونجاح"[3].

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 162.

[2] المصدر نفسه، ص 174.

[3] المصدر نفسه، ص 174.

فالشخصية المرجعية إذن هي شخصية فاطمة الزهراء التي وجدناها في الرواية وتتجلى في الشخصية الاجتماعية بعنصر العامل فجسدتها هذه الشخصية لتدخل فاطمة الزهراء ضمن التصنيفات التي قام بها فيليب هامون.

وعلى حساب تصنيف فيليب هامون للشخصيات المرجعية "عندما تندرج هذه الشخصيات في الملفوظ الروائي فإنها تعمل أساسا على "التثبيت" المرجعي وذلك بإحالتها على النص الكبير الذي تمثله الإيديولوجيا والمستنسخات والثقافة"[1].

إضافة إلى ذلك نجد شخصية ناصر الذي تجلى فيه عنصر العامل، كما جاء في الرواية: "موظف إداري في مديرية الضرائب"[2] فهو شخصية مرجعية تناولت شخصية الاجتماعية بعنصر العامل، فناصر مهنته التي ذكرتها الرواية موظف إداري في مديرية الضرائب ثم ارتقى إلى منصب عالي فأصبح "رئيس مصلحة بمديرية الضرائب فقد أصبح رجلا مهما ومطلوبا لدى التجار ورجال الأعمال بعدما كان موظفا بسيطا"[3].

فأبرزته الرواية بدور فعال ومحرك لأحداثها، فهو كذلك يندرج ضمن الشخصية الرئيسية، بالرغم من تواجد هذه الشخصية بداية في الرواية بدور بسيط إلا أنها فاجأتنا وكسرت أفق توقعنا، لنكتشف ليست مجرد شخصية بسيطة بمهنة عادية، بل هي شخصية رئيسية تجلى فيها الحدث الرئيسي.

وكذلك من الشخصيات التي تجسد فيها عنصر العامل شخصية سعاد التي أظهرتها الرواية بمهنة متميزة وهي مهنة الشرطة، ليتضح هنا أن سعاد دورها في الرواية دور مهم كونها عاملة ولها مهنة خطيرة ساهمت في تحريكها لأحداث الرواية، كما جاء

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 217.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 103.

[3] المصدر نفسه، ص 192.

في الرواية "قصدت مركز الشرطة ببومرداس وطلبت من صديق مراد أن يدها على الطريق لتحقيق هدفها الجديد"[1].

فهي دائما متأهبة للمعركة لأن مهنتها تسابق الوقت، وتعتبر تحديا لمواجهة الموت، وبالرغم من تواجدها خارج مهنتها إلا أنها دائما مستعدة للمعركة وللتخلص من ظاهرة الإرهاب التي اجتاحت البلاد، وقد وصفتها الكاتبة بأنها "جاءت بزي مدني، ومسدسها لا يغادر خصرها مخبأ تحت ملابسها"[2].

إضافة إلى ذلك هذه الشخصيات التي ذكرناها نجد شخصية رشيد الذي كان عاملا بسيطا في دكان أبيه الذي كان يبيع المواد الغذائية العامة"[3].

ونجد كذلك شخصية الأب المكافح في سبيل حصوله على قوته من أجل عائلته، فهو يجسد عنصر العامل بامتياز، إذ يملك دكان صغير للمواد الغذائية العامة قرب باب منزله، يسترزق منه لقمة العيش، كما جاء في الرواية "أبي ذهب إلى دكانه"[4].

تجسد عنصر العامل بكثرة في البعد الاجتماعي، حيث ركزنا أكثر على الشخصيات التي أعطت محركا رئيسيا لأحداث الرواية، فالشخصيات كثيرة في الرواية أخذنا بعض من الشخصيات المهمة منها والتي لها دور مهم في أحداثها.

وإلى جانب عنصر العامل وعلى حساب تصنيف فيليب هامون نجد عنصر الفارس حيث تجسد في شخصية واحدة، وهي شخصية طارق، الشخصية الرئيسية الفاعلة، فالرواية سلطت الضوء على شخصية طارق ليكون الشخصية البطلة فيها، كما

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 150.

[2] المصدر نفسه، ص 216.

[3] المصدر نفسه، ص 7.

[4] المصدر نفسه، ص105.

جاء في الرواية عندما وصفته فاطمة الزهراء بخيالها "لكني كأية فتاة في عمري كنت أؤمن بفارس الأحلام وأقول لنفسي إن كان لابد أن أتزوج فإني أختار هذا الشاب"[1].

شخصية طارق هي شخصية بطولية، جسدت عنصر من عناصر الشخصية الاجتماعية وهو عنصر الفارس أو البطل، فهي شخصية تحدت الظروف في سبيل تحقيق هدفها، فطارق عمل المستحيل ليتحصل على حبه، لكن كانت الظروف معاكسة لذلك، وقد تجلى هذا في مضمون الرواية عندما قام طارق بضرب فؤاد وبهذا تجسدت صفة البطولة في طارق "مرغه طارق في التراب وأسال الدم من أنفه، وكسر له سنا! أصبت بالذهول وأنا أتفرج على المشهد من وراء شباك النافذة، عاجزة عن الحراك أو الكلام"[2].

ونحن نعلم أن لكل رواية هناك بطل أو فارس تبنى عليه الرواية قصص سردها للأحداث، وقد حددها عنصر الفارس من الشخصية الاجتماعية اتباعا على ما بني عليه فيليب هامون تصنيفاته، لأنه هو من قادنا إلى هذه الشخصية انطلاقا من تصنيفاته، فطارق شخصية اجتماعية أضاءت لنا طرق التعرف على أحداث الرواية، وإبراز الفارسية فيها.

أما العنصر الأخير فهو عنصر المحتال الذي نجده أيضا في شخصية ناصر، فهو الوحيد في الرواية التي تنطبق عليه صفة الاحتيال، فهو استغلالي ومحتال، استغل مال فاطمة لصالحه وحرمها منه كما جاء في الرواية "انتفض من مكانه واندفع نحوي وصفعني، تحت الضغط أمضيت على الورقة لذا لن يحتاج بعد الآن لتوقيعي أو حضوري لسحب مالي"[3]، فقط اعتبر عملها مكسب له فإن عارضت هذا، فإنها لم تعمل وتخسر عملها، فالرواية أبرزت أن شخصية ناصر شخصية استغلالية ومحايلة كما جاء في

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص 86.

[3] المصدر نفسه، ص 139.

الرواية "إذا كنت تريدين العمل فأغلقي فمك أحسن لك، وإذا لم يعجبك الأمر فلا عمل بعد الآن"[1].

فكان يستغلها ويحتال عليها، سواء في مالها أو يستغلها هي في حد ذاتها، ولتوضيح أكثر كيفية استغلال مالها، بداية أجبرها على توقيع ورقة للاستيلاء على أموالها، وعندما حقق مبتغاه اشترى من مالها سيارة وشقة لتبرز هنا صفة الاحتيال واضحة في هذه الشخصية، حيث الروائي فيليب هامون صنف الشخصيات على حساب مفهومه للشخصية فمثلا شخصية وماذا يتضح عليها، فهنا شخصية ناصر اتضح أنها شخصية محتالة، استغلالية، من بداية ظهور دورها في الرواية إلى آخرها.

نستنتج أن شخصية ناصر هي الشخصية الوحيدة التي تجسد فيها عنصر المحتال من الشخصية الاجتماعية، وعلى حساب تصنيفات فيليب هامون في البعد الاجتماعي وجدنا الشخصية المرجعية هي التي كانت حاضرة في هذا البعد والتي تتجلى بعناصرها (العامل، الفارس، المحتال) لنوضح أكثر كيف كان تصنيف هامون للشخصيات وفي هذا البعد وكيف كان تصنيفه للشخصية المرجعية.

فالشخصية المرجعية هي واسطة من خلالها يتم ربط ذهن القارئ بالمرجع سواء أكان تاريخيا أم اجتماعيا وهي جنس النبض لمدى تطلع القارئ على الواقع، أما بالنسبة لفيليب هامون (Philip Hammond) فقد جعلها "ضمانة لما يسميه بارت "الأثر الواقعي"، وعادة ما تشير هذه الشخصيات في التعيين المباشر للبطل"[2] أي أن البطل يجسد لنا مرجعية واقعية معيشية وهذا ما يحيلنا إلى المعنى الثقافي الراسخ على مستوى شخصيته فنقول إن الشخصية المرجعية شخصية ذات جذور واقعية وخلفية ثقافية.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 133.

[2] فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2013، ص 36.

هذا الفصل الموسوم بالبعد الاجتماعي في رواية تشرفت برحيلك لفيروز رشام ذكرنا فيه أولا: تصنيفات فيليب هامون التي تجسدت فيه، ووجدنا أن الشخصية الغالبة فيه الشخصية المرجعية التي تتكون من الشخصية الاجتماعية. لتتناول بعد ذلك أهم الشخصيات في البعد الاجتماعي انطلاقا من مفهوم هذا البعد وصب مختلف الشخصيات فيه، والتي سنذكر ما يلي:

قبل أن نحدد الشخصيات الموجودة في البعد الاجتماعي نحدد أولا مفهوم البعد الاجتماعي الذي جاء مفهومه كالآتي: فالبعد الاجتماعي هو الذي يهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها وثقافتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه، ويشمل "المواصفات الاجتماعية (المهنة طبقتها الاجتماعية مثلا عامل / طبقة متوسطة / برجوازي إقطاعي، وضعها الاجتماعي، فقير، غني / إيديولوجيتها رأسمالي، سلطة)"[1].

أي أنه يعالج الظروف والطبقات الاجتماعية في عصر أو مرحلة معينة، كما يتم من خلال هذا البعد رصد الخلفية الاجتماعية للشخصية إلى طبقة اجتماعية "وفي نوع العمل الذي تقوم به في المجتمع وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن ان يكون لها أثر في حياته، وكذلك دينه وجنسيته وهواياته"[2].

"إن البعد الاجتماعي يتمثل في شبكة العلاقات الاجتماعية، ومجموعة العادات والتقاليد والأعراف التي تنبئ عن المصدر الرئيسي للقيم المحركة لهذا الفرد أو ذاك، وكذلك عوامل الانتماء ووسائل الضبط الاجتماعي، والمكانة الاجتماعية، والمراكز الاجتماعية والأدوار التي يقوم بها الناس"[3].

---

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص 40.

[2] عبد القادر أبو شريفة وحسن لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 133.

[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية، مصر (د. ط)، 2006، ص 69.

الشخصيات في البعد الاجتماعي في رواية تشرفت برحيلك:

ظهر البعد الاجتماعي في الرواية بشكل كبير ملحوظ، لأن الرواية لا يمكنها دراسة الشخصية بعيدا عن المجتمع لأنها مرتبطة به وتعكس الظروف الاجتماعية المحيطة للفرد، فهو يتعدد بالمهنة والطبقة الاجتماعية ومستوى المعيشة والتوجه الأيديولوجي والديني والسياسي والجنسية ومستوى التعليم، حيث يشمل هذا الجانب المركز الذي تنتمي إليه الشخصية "فربما تكون الشخصية فلاحا أو موظفا أو عاملا أو طالبا، أو أميرا، أو فقيرا، أو امرأة ريفية، أو أستاذ جامعي... وهذه المراكز الاجتماعية لها أهميتها البالغة في بناء الشخصيات وتبرير سلوكها وتصرفاتها"[1].

فالبعد الاجتماعي يبرز علاقة الشخصية بالطبقة الاجتماعية ومحيطها الذي تنتمي إليه، ومن خلال أحداث الرواية يتضح أن الوضع الاجتماعي ارتبط ارتباطا وثيقا بالوضع السياسي والديني في آن واحد الذي ظهر من خلال أعمال المتطرفين الإرهاب الذي كان واضحا في رواية تشرفت برحيلك لفيروز رشام. حيث تسرد الكاتبة أهم الاخبار التي حصلت منها: أخبار الموت الغريبة التي تزداد كل يوم، فقط تسمع كلمة القتل، الموت، الخوف والهلع هذا ما عاشته الجزائر في التسعينات.

وتحكي الكاتبة عن منطقة بومرداس وتحديدا بلدية زموري التي عاشت الويلات وعانت من الإرهاب،وحسب ظني فالكاتبة هي نفسها فاطمة الزهراء بطلة الرواية فهي شابة جزائرية، تلميذة في الثانوي كما جاء في الرواية "كنت تلميذة في الثانوية بداية التسعينات، عندما بدأنا نسمع بكلمة الإرهاب"[2]، فهي تسكن في قرية تابعة لولاية بومرداس، الواقعة على تلة مرتفعة، عند الجهة الشرقية لعاصمة الولاية من بلدية زموري

[1] علي عبد الرحمن فتح، تقنيات بناء الشخصية في رواية "الثرثرة فوق النيل"، مجلة كلية الآداب، عدد 102، جامعة صلاح الدين، كلية اللغة العربية، العراق، ص 51.

[2] فيروز رشام، رواية تشرفت برحيلك، ص 6.

ومدخل مدينة بومرداس، حيث نشأت فاطمة الزهراء وسط عائلة متوسطة ماديا،كما تبرز الرواية أن بطلة الرواية فاطمة الزهراء كان لها نشاط أو هواية ذكرتها الرواية والمتمثلة في حبها لقراءة الشعر كما جاء في الرواية "جلست ورحت أقلب صفحات دليل الكتب الأدبية هذه المرة أريد ديوان الشعر"[1]، فالبعد الاجتماعي يوضح أو يذكر أهم الثقافات ونشاطات الذي يقوم بها المجتمع من ناحية دينه، وجنسيته أو هواياته، حب فاطمة الزهراء لقراءة الشعر كان كبيرا وخاصة عندما أحبت طارق الذي زادها حبا وشغفا بقراءة الشعر، كما جاء في الرواية: "احذري، فإن أدمنت قراءة الشعر فتصبحين شاعرة!

. ذلك ما أتمناه

. حقا! أتكتبين الشعر

. أحاول"[2]

البعد الاجتماعي ذكر هنا هواية لفاطمة الزهراء التي أحبت قراءة الشعر بعد ذلك أصبحت تتقن الكتابة.

ففاطمة الزهراء عاشت في وسط لم تعرف فيه إلا الضرب من طرف أخويها اللذان انضما إلى الإرهاب، عاشت سنين من عمرها في العذاب والقهر، فقد عانت الإرهاب داخل منزلها، فالإرهاب يكره كل شيء متعلق بالجمال سواء كان شكلا أو غير ذلك، ويظهر هذا عندما رأى فؤاد ديوان الشعر عند فاطمة الزهراء، اعتبر ذلك إهانة أو ربما قراءة الشعر وكتابته يجلب العار هذا كان مفهوم الإرهاب عندهم ويتضح ذلك في الرواية:

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 17.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

"أهذه هي الدراسة التي تدرسين! كنت أعلم أنك تعبثين لا أكثر، أنت ستجلبين لنا العار! ركلني برجله وضربني بقبضة يده"[1]

حيث وضحت بطلة الرواية فاطمة أهم التقاليد التي كانت تتبعها الجزائر وخاصة منطقة بومرداس، فهي منطقة جميلة، سكانها بسيطين، لهم عاداتهم وتقاليدهم، ولكن بدخول المتطرفين إلى المنطقة تغير كل شيء فيها أو تغيرت كل بلاد الجزائر، وأصبحت الجزائر كلها في حالة دمار كما جاء في الرواية "وتحولت الجزائر من قطعة من الجنة إلى قطعة من النار، وهي التي كانت جنة الجنات"[2]

حيث انتشر التدين والتأسلم والتشدد، أصبحوا من أهم العادات التي تتبعها الجزائر، وذلك خوفا من الإرهاب، كانت عائلات خاضعة لهذا النظام الفاسد، وهناك من أصبحوا سلفيين وتفكيرهم عن الدين شيء مختلف. ونحن نعلم أن الدين هو عبادة الله والتقرب إليه، لكن الإرهاب غرس في نفوس الناس الدين بمفهومهم، فمثلا إجبار المرأة ارتداء الحجاب بالقوة وإلا لم تفعل ذلك يكون القتل هو السبيل لتحقيق ذلك لكن نسوا أن الدين ليس شكلا بل هو اعتبار للمبادئ هو الأسمى والأخلاق هي معيار الدين، كما جاء في الرواية "لم يكن التعري من عادتنا ولكن الحجاب أيضا لم يكن كذلك، أما الجلباب فلا أدري من صمم ذلك الزي وأدخله إلى ثقافتنا، كنا نستغربه جدا ونضحك على من تلبس هذه الخيمة كما يسميها البعض"[3]

انتقلت الكاتبة في وصف فاطمة بعدما كانت تلميذة في الثانوية أصبحت لها مهنة وهي معلمة في الابتدائية، كانت تريد بداية أن تلتحق بالجامعة لكن الظروف كانت معاكسة لذلك، بعدما التحقت بالتكوين لتكون نفسها بأن تصبح معلمة، وبالفعل تخرجت

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 34.

[2] المصدر نفسه، ص 7.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

من التكوين والتحقت بأقرب مدرسة للتعليم كما جاء في الرواية "تعرفت على قسمي ثمانية وعشرون تلميذا في السنة الثالثة كلهم من منطقة زموري وضواحيها"[1]

وذكرت في الرواية أنها تزوجت بإنسان منافق اسمه ناصر الذي عاشت معه مدة ثماني عشر عاما، ولم تعرف فيهم إلا الضرب والعنف، تزوجته ظنا منها أنها تخلصت من إخوانها الإرهابيين فؤاد ورشيد لتتفاجأ أن زوجها إرهابي مثله مثل فؤاد ورشيد، فهو سلفي واستغلالي لم تعش معه على الحب والحنان بل كان على عكس ذلك. ففاطمة أحست بداية أن هذا الزواج لا يجلب لها إلا المتاعب والحزن، خصوصا بعدما عرفت حقيقة حفيظة أخت ناصر وحميدة زوجة فاتح اللذان تعاملان معها بطريقة ساذجة أثناء العرس. كما أن فاطمة الزهراء قادرة أن تنهي الزواج وتقول نعم. لكن كان جوابها لا، كما جاء في الرواية عندما قال لها الأب "فاطمة الزهراء، إن شئت أبطل هذا الزواج حالا فقط قولي نعم وينتهي كل شيء! هل تريدين أن أطردهم؟! لم أستطع التفكير، ولم أستوعب أبي، ولا ما كان يحدث حولي كان عرضه أقصى ما أتمنى، لكن تفاديا لمأساة ما وفضيحة لن ينساها الناس قلت لا."[2]

فهنا اعتبرت فاطمة الزهراء المجتمع هو من يقرر مصيرها، فهي عجزت عن قول نعم وقالت لا، فالمرأة تصبح أحيانا ضعيفة أمام المجتمع، وتستسلم لما يقولوه، لكن المرأة القوية وحدها قادرة على مواجهتهم واعتبار حياتها مصدر قوة، وأي قرار تتخذه تكون واثقة منه ولا تسمح لأي مجتمع أو أي شخص أن يؤثر عليها.

وأضافت الكاتبة: "أن موجة الإرهاب تزداد وترتفع وملامح المجتمع الجزائري تنحو للتغير، ملابسه، عقليته، عاداته، يومياته... كل شيء يتغير نحو الانغلاق والقبح والتعصب،

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 71.

[2] المصدر نفسه، ص 125.

العنف ينخر البلاد يوما بعد يوم من الشرق إلى الغرب. ومن الشمال إلى الجنوب، وقد أصبح الإرهاب ألف شكل وشكل للوجود، إرهاب الإرهاب، إرهاب الأزواج، إرهاب الإخوان، إرهاب النساء! أجل ففي البيوت نوع آخر من الإرهاب لم تضعه الدولة في مخططاتها لتحاربه"[1]

نجد أيضا البعد الاجتماعي واضحا في الرواية ويظهر ذلك في: "بدأ الضباب ينقشع والنور يشع بعد عشرية دموية سوداء، عشناها خارج التاريخ، وخارج الإنسانية، فبعد تطبيق قانون الوئام المدني عام 1999 والذي جاء كمحاولة ثانية من الحكومة الجزائرية لترويض الوحوش الإرهابية وإعادتهم إلى آدميتهم بعد تطبيق قانون الرحمة عام 1995، بدأت الأمور تنفرج أخيرا"[2]

ويتضح من خلال هذا أن المجتمع الجزائري بعدما عان خلال العشرية السوداء وأخيرا وضع المجتمع الجزائري حدا لهذه الأزمة التي عاشها وذلك بتطبيق قانون للحد من ظاهرة الإرهاب.

وتظهر الرواية أن فاطمة الزهراء معنفة بداية من إخوانها فؤاد ورشيد، وبعد ذلك من طرف زوجها ناصر، وكما نعلم أم المرأة المعنفة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، قد تكون ضعيفة إذا كانت أم، أو أنها لا تستطيع أن تواجه معنفها أمام المجتمع، فالمرأة في الرواية ضعيفة وجسدتها فاطمة الزهراء التي تعرضت إلى أبشع أنواع العنف، ولم تخبر أي أحد أنها معنفة من قبل زوجها. ولو حتى والديها، وذلك بعدم مواجهتها أمام الناس، ويظهر ذلك في الرواية "أعادني إلى البيت بعدما تفرج علينا الناس في الإستعجالات دون أن

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 144.

[2] المصدر نفسه، ص 160.

أصرح بأني تعرضت للعنف"[1]، ويتضح ذلك أن فاطمة الزهراء لم تصرح أبدا أن زوجها هو من كان معنفها.

فالمرأة في التسعينات كانت معنفة إلى حد كبير، فالرواية تعالج قضية المرأة وتبرز الظروف التي عاشتها، فبطلة الرواية فاطمة الزهراء كانت أكبر مثال على ذلك، ويظهر ذلك في الرواية "كنت أفكر هل النساء المعنفات كثيرات أم أنني استثناء، لكن أخبار الجرائد التي تنقل قصص زوجات قتلن على أيدي أزواجهن أو كسرن وجرحن ليس من صنع خيال الصحفيين"[2]

كما أن فاطمة الزهراء المرأة المتزوجة، المعنفة، وأم لأربعة أولاد، ضحت بسعادتها في سبيل سعادة أولادها، وأيضا الزوجة، الوفية، المطيعة، تعيسة الحظ، كانت في ظنها الزواج يكون سعيدا، لكن كان ذا فوق ظنونها كما جاء في الرواية "من قال إن الحياة هي الزواج والأولاد فقط! بعد الزواج والأولاد يقف المرء أمام قدره مفجوعا: أهذه هي الحياة في النهاية! أهذا كل شيء!"[3]

فالمرأة السعيدة تزداد جمالا كلما كبرت، وإن كانت قبيحة، والمرأة التعيسة تزداد قبحا كلما كبرت، وإن كانت جميلة، هذا ما قالته فاطمة الزهراء، فالحياة تعاش مرة واحدة، والمرأة المهمشة الحزينة أمام الحياة، وأمام الضغوطات والظروف التي تعيشها. تصبح كئيبة وكأنها عاشت دهرا من الألم وبالرغم أنها لم تكبر.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 165.

[2] المصدر نفسه، ص 168.

[3] المصدر نفسه، ص 181.

فالشخصية فاطمة الزهراء احتلتها كومة من المشاكل والظروف كإصابتها كذلك بمرض السرطان. كان ذلك بالنسبة لها صدمة كبيرة، تأثرت نفسيتها، وخابت قواها، وكان ذلك أثرا في حياتها، وخوفا من فراقها لأولادها التي تحبهم كثيرا، ولا تريد أن تفارقهم بسبب إصابتها بمرض السرطان، لكن بشجاعتها وقوة صمودها، لم تستسلم أبدا للمرض، واجهته حتى تغلبت عليه فالسرطان يسببه الكبت والغضب ولا يداويه سوى الحب والحنان.

بالرغم ما حصل لفاطمة الزهراء تطلقت من زوجها ناصر بعد زواج فاشل، لم تجد فيه السلام، والراحة، فقط الخيانة، والضرب، العنف وغير ذلك. لكن لم تستسلم أبدا للحياة. وواجهتها بكل ما أوتيت من قوة لتنفجر أخيرا بحريتها، رافضة الذل والعبودية، بالإضافة إلى انضمامها إلى جمعية النضال النسوي للدفاع عن نساء معنفات اللواتي عاشوا حياة بائسة مثلما عاشتها فاطمة الزهراء، ليكتب لها فجر جديد من معلمة بسيطة إلى كاتبة مشهورة.

وكذلك من الشخصيات التي ظهرت في البعد الاجتماعي نجد شخصية فؤاد شاب جزائري، في الرابعة والعشرون من عمره، ترك دراسته بمحض إرادته كما جاء في الرواية "ترك الدراسة بمحض إرادته قبل أن يكمل تعليمه الأساسي"[1] فكان بدون عمل، يعيش وسط أسرة متوسطة الدخل مع إخوته وأبويه، بالرغم من ظروف البلاد، والفقر الذي اجتاح منطقة زموري بولاية بومرداس الجزائرية، التحق فؤاد بجماعة إرهابية، وبدأ يتغير شيئا فشيئا حتى أخاه رشيد الذي أيده في ذلك، فهو "ذو ثلاثة وثلاثون عاما، متزوج وأب لطفلين، هما حسام ذو الثلاث سنوات ويوسف تسعة أشهر، لا مهنة له ولا حرفة، عمل لمدة نادلا في مقهى ثم بائعا في سوق الخضر، ومؤخرا ينوب عن أبيه من حين لآخر في

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 7.

دكان المواد الغذائية العامة"[1]هذا الفقر والعوز الذي كانت تعيشه مدينة زموري بسببه أصبح الأخوان فؤاد ورشيد إرهابيان، حيث تغيرت معتقداتهم وعقليتهم.

ثم تأخذنا الكاتبة إلى شخصية الأب صالح، جزائري الجنسية، رب عائلة. متدين لكنه غير متشدد، بسيط في تفكيره ولا تظهر عليه علامات التأسلم بشدة في حدود معقولة، له دكان للمواد الغذائية، يسترزق منه، يسكن في قرية زموري في بومرداس، والناس في منطقته تحبه، وتذكره إلا بالخير، سمعته عظيمة بين الناس، فكان منصفا، وحكيما في عدة أمور، فهو رجل عظيم بمكانته كما جاء في الرواية: "أبي رجل يقدس العلم ويبجله رغم كونه محدود التعليم، فلا يفرق في ذلك بين ذكر أو أنثى"[2]

وكذلك ذكرت الكاتبة شخصية جميلة، فتاة جميلة وهي أخت فاطمة الزهراء كما جاء في الرواية "تكبرني جميلة عمرا بسنة واحدة فقط"[3] تعيش وسط عائلة متوسطة الدخل لم تواصل تعليمها، رسبت في امتحان التعليم الأساسي، كانت الدراسة آخر اهتماماتها، فهي كانت تحب أن تجد شخصا يناسبها لكي تتزوجه، ماكثة في البيت، بعد ذلك أصبحت مخطوبة، ولكن لم تدم فرحتها حتى قتل خطيبها. لكن حالفها الحظ مرة أخرى فتزوجت من رجل آخر.

الرواية كشفت عن الوضع الاجتماعي لعائلة فاطمة الزهراء ورصدت ايديولوجيته نحو النظام الذي كان سائدا آنذاك وهو الإرهاب، حيث كانت تعيش العائلة على دخل بسيط جدا لأن البلاد كانت في وضع مزري، وأخبار القتل تسمع في كل مكان، ثم رصدت لنا الوضع الاجتماعي لشخصيات أخرى متناولة عائلة طارق، كما جاء في الرواية "تلميذ يسبقني بسنة فهو في السنة الثالثة ويستعد لاجتياز امتحان البكالوريا"، بعد

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 7.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

ذلك نجح في شهادة البكالوريا، والتحق بالجامعة ليدرس الإعلام الآلي أمه متوفية، وله زوجة أب، فطارق هو الأكبر بين اخوانه، وليس لديه أخوات، ووالده "رجل مثقف ومتفتح، إطار في شرطة عمومية، ولديه شبكة واسعة من العلاقات"[1] بالإضافة إلى أخواله الذين يسكنون في مدينة تلمسان الواقعة أقصى الغرب الجزائري.

بالإضافة إلى صديقة فاطمة الزهراء سعاد نجدها كذلك في البعد الاجتماعي فهي تلميذة في الثانوية، التحقت بالجامعة، وأصبحت "طالبة في كلية الطب بجامعة الجزائر"[2] تنحدر من أسره بسيطة، "إخوانها ليسوا سلفيين لكنهم كمعظم الإخوة الجزائريين غيورين جدا ومتترفزين"[3]، بعد ذلك اضطرت إلى ترك الجامعة والالتحاق بمركز الشرطة، والسبب في ذلك يعود إلى وفاة حبيبها مراد كما جاء في الرواية "يمارس أخطر مهنة في جزائر التسعينات فهو شرطي، وكم من رجال الشرطة قد اغتيلوا لحد اليوم! إنها تعيش دوما قلقا لا يحتمل، فرجال الشرطة والدرك والجيش بالنسبة للإرهابيين هم رجال الدولة وحماتها"[4]، لذا قررت سعاد أن تكون مكان حبيبها مراد بعدما اغتيل وتوفي بعد ذلك، فسعاد أصبح لها مهنة وهي مهنة الشرطة كما جاء في الرواية "فهي تنادي حضارات. بعد عده ترقيات في عملها أصبحت الآن تقود جيشا من الرجال لتقاتل أخطر أحد أخطر الإرهابيين الذين لا يزالون في نشاط."[5]

وأيضا نجد شخصية ناصر فهو "موظف إداري في مديرية الضرائب"[6]، سلفيّ،

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 82.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

[3] المصدر نفسه، ص 113.

[4] المصدر نفسه، ص 63.

[5] المصدر نفسه، ص 212.

[6] المصدر نفسه، ص 103.

متديّن، تظهر عليه علامات التأسلم، لكن يخفي ذلك وراء بذلته الأنيقة، متشدد، يتعامل بالضرب والعنف، مستغل للمرأة، لا يجب أن تكون عاملة أو موظفة، كما جاء في الرواية "علي الذهاب لمديرية التربية غداً، يجب أن أبدأ إجراءات التحويل فأنا متأخرة جداً، سيعود التلاميذ إلى الدراسة بعد أسبوع

. ومن قال أنك ستعودين إلى العمل"[1]

فناصر كان ممن لا يقدّر المرأة، ومنهم فاطمة الزهراء. فلا اعتبرها زوجة، ولا حتى أمّاً لأولاده، همّه الوحيد فقط سلب مال زوجته.

لتصل بنا هاته القطعة الأدبية لتفحص خبايا شخصية فاتح ذلك الإنسان قبيح المظهر، كما جاء في الرواية "جريت نحو غرفتي مرعوبة وقد تبعتني جميلة

. اه يا اختي لو ترينه إنه حقاً إرهابيّ!"[2]

جزائري الأصل، ربّ عائلة فهو متزوج وله أولاد، كان إماماً ثم أصبح إرهابيّا، مهنته حاليّاً، فهو المفتي والمحلّل إذا كان الامر حلال أو حراما، لا يفقه في أمور الدين إلاّ قليلاً، ويعرف جيدا أنه على خطأ فيما يقوله لكن غلبة انضمامه إلى الإرهاب أفسد تفكيره، كما جاء في الرواية "طوال النهار وهو يفتي ويملي الأوامر على الجميع، يغيب عن البيت كثيراً لأنه مشغول بحلقات الجهاد وتجنيد الشباب"[3]، ثم أصبح بعد ذلك تاجراً

للملابس النسائية كما جاء في الرواية "بدأت الأمور تهدأ قليلاً فاتح اقترض بعض المال من أحد التائبين أمثاله ممن عادوا بثروة من الجبل، وفتح محلاً صغيراً يبيع فيه الملابس الداخلية للنساء!

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 132.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص 131.

كانت ظاهره لافتة وقتها حيث اشتغل كثير من التائبين في بيع الملابس الداخلية للنساء!"[1] فهو لا يحب الاختلاط لكن بعد ذلك اتضح عكس ذلك، فهو يدّعي بأنه لا يحب الاختلاط لكنه فاجأنا بفتح محل يبيع فيه الملابس الداخلية للنساء، فهو كذلك متشدد، وعنيف لا يعرف سوى القتل والضرب.

ثم تنتقل الكاتبة إلى شخصية رانية زوجة رياض، فهي شابة جزائرية من مدينة تيزي وزو، متواضعة، تعمل في بنك، فهي منفتحة، كما جاء في الرواية "شابة، جميلة وذكية، تعمل معه في نفس البنك الذي يعمل فيه، أصولها من منطقة القبائل، لكن عائلتها مستقرة في العاصمة منذ سنوات بعدما تولى والدها إدارة إحدى المؤسسات الخاصة"[2]

وتضيف إلى ذلك شخصية نجاة، عشيقة ناصر لتجسيدها كذلك في البعد الاجتماعي" عمرها ثمان وعشرون سنة، موظفة بمركز البريد، ليست جميلة فهي لا تشبه شيئا، لكنها تعرف جيداً ما تريد لن تمنحه ديناراً من مالها أبداً"[3]

فهي اجتماعية تحب المال، المطاعم الفخمة والهدايا الفخمة، والسيارات الفخمة، فهي امرأة لا تقدس الروابط ولا العلاقات، همّها فقط سلب الرجال من نسائهم والتهام أموالهم.

وكذلك شخصية عم فاطمة الزهراء عمر، كما جاء في الرواية "يصغر أبي بخمس سنوات، وهو موظف إداري بمديرية التربية لولاية بومرداس، لذا يعرف جيدا شؤون التكوين والتوظيف في قطاع التربية والتعليم"[4].

البعد الاجتماعي طرح عدة قضايا اجتماعية لها علاقة بالمجتمع، وكذلك الوسط الذي

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 173.

[2] المصدر نفسه، ص 197.

[3] المصدر نفسه، ص 194.

[4] المصدر نفسه، ص 60.

تتحرك فيه الشخصية، فالبعد الاجتماعي يدرس الشخصية من ناحية الدين، وقد ظهر في الرواية، حيث تعدد مفهوم الدين وخاصة حينما غلبت فئة الإرهاب على مدينة الجزائر، أصبح التديّن والتأسلم بالشكل والمظهر، واعتماد الدين هدف مهم في إجرائهم للجرائم والقتل على طريقته، كما قالت فاطمة الزهراء أن الدين وقراءة القرآن ناتج من القلب بحثاً عن السكينة كما جاء في الرواية "كنت أقرأ القرآن بحثاً عن السكينة، وعن معنى للحياة كما يريدها الله لا كما يريدها المتطرّفون"[1].

المتطرّفون طغوا في البلاد بإنشائهم للجماعات الإرهابية، وكان مفهومهم للدين مختلفاً، فعند قراءتهم للآيات لا يفهمون معناها جيداً، بل لا يكملون ما جاء في آخر آيات القرآن، يفهمون فقط جزءاً منها حيث يأخذون ما كان اعتبارا للأنثى أنها زوجة فقط، ولا يقدرونها أبدا وظهر ذلك في الرواية حيث جاء فيها عندما حللت فاطمة بمفهوم الإنسان السلفي الإرهابي للدين أمر على الآية «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ»[2] وأتوقف متأملة المعنى سمعت كثيراً الرجال في حياتي يقولون «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء» لكنني لم أسمع أحداً منهم أكمل «وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ»! كلّ ما أنفقته على ناصر من مالي وهو يتعالى عليّ بقوامته.

وأيضا أمر على الآية «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» وأتوقف متأملة زواجي الذي كان حلبة مصارعة خسرت فيها نفسي وحياتي، لا سكينه فيه ولا سكن."[3]

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 237.

[2] القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة –أمام جامعة الأزهر–، القاهرة، ط1، 2008، الآية 34، سورة النساء.

[3] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 238.

بالإضافة إلى قضايا أخرى طُرحت في الرواية، إلى جانب الإرهاب، كما جاء في الرواية "بعد الإرهاب استفاق الجزائريون على حقيقة مرعبة: لقد أدّى الكبت والقهر إلى ارتفاع رهيب للمجانين والمعتوهين، ومرضى السرطان، والسكتة القلبية، والجلطة الدماغية، والسكري، والضغط، ونقص الحب، وضعف الثقة، والجوع الجنسي، والحرمان العاطفي، وآلاف الأمراض التي لا نعرف بعد كيف نسميها"[1].

فالتسعينات فترة بدأت فيها المشاكل، والإرهاب، والأمراض، والكثير من الظروف الاجتماعية التي واجهها المجتمع الجزائري في فترة التسعينات ليتحسن الوضع تدريجياً عند دخول سنه الألفين.

فقد استطاع هذا البعد أن يكشف لنا خبايا عديدة وأن يرصد لنا الأوضاع السائدة لكل شخصية، كاشفاً لنا عن مستوياتهم وعواطفهم، فلكل شخصية دورها في المجتمع، حيث ذكر هذا البعد كل الفروقات التي تكون فيما بينهم، وقد ركز أكثر على الشخصية المحوريّة فاطمة الزهراء التي أعتقد أنها هي نفسها الكاتبة في حد ذاتها والتي عاشت عيشة مزرية سواءً في منزل أهلها أو في منزل زوجها ناصر، ليكتب لها قدراً مكتوباً على جبينها، بالرغم ما جرى لها في حياتها إلا أنها لم تستسلم ولم ترضخ للمجتمع، لتنفجر أخيراً في وجه معنّفها وفي وجه هذا المجتمع دفاعا عن نفسها، وعن كل النساء المعنّفات، هذا البعد أبرز هنا قضايا المرأة المعنّفة أمام المجتمع من ناحية أخويها من جهة، ومن ناحية زوجها من جهة ثانية، فالكاتبة في رواية "تشرفت برحيلك" استطاعت أن تجسد البعد الاجتماعي في الرواية وأن توظفه بشكل يناسب أحداث الرواية التي تدور فيها.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 205.

الفصل الرابع

البعد الإيديولوجي للشخصيات الروائية في الرواية

المبحث الأول: صراع الشخصيات

المبحث الثاني: أثر العشرية السوداء على تصرف الشخصيات في الرواية

إذا أردنا تحديد تصنيف "فيليب هامون" المناسب لهذا البعد فإننا نجده في فئة "الشخصيات الواصلة" والتي تكون "علامة على حضور المؤلف والقارئ أو من ينوب عنهما في النص ويصنف "فيليب هامون" ضمن هذه الفئة "الشخصيات الناطقة" باسم المؤلف"[1] وهذا ما لاحظته في شخصية "فاطمة" كأن الكاتبة "فيروز رشام" تتحدث عن نفسها وعن الأحداث التي عاشتها في حياتها بحلوها ومرها، بحزنها وفرحها وبمعاناتها وسعادتها، هي كانت مترددة في سرد قصتها بسبب الثقافة التي كانت منتشرة في ذلك الوقت والناس الذين كانوا يمارسون سلطتهم على الناس باسم الدين، يحللون ويحرمون على هواهم دون مراعاة لتعاليم الدين الحقيقية والأصلية وقد استنتجت هذا، لأنها تروي الأحداث بدقة كأنها سيرة حياتها، أو أنها صديقة مقربة من بطلة الرواية فهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن البطلة هي نفسها الكاتبة، أو أن الكاتبة هي صديقة مقربة من البطلة.

"حدثيني عن قصة كتابك:

- قصة كتابي هي أيضا قصة حياتي"[2]

صراع الشخصيات:

قد قررت "فاطمة" تحدي تلك الثقافة المليئة بالتعصب والتي شوهت الدين وأعطته صورة خاطئة جعلت الكثير من الشعوب تنفر منه، وتشجعت لكي تكتب قصة حياتها والمعاناة التي عاشتها هي وكثير من النساء بسبب أزمة التعصب التي كانت منتشرة في ذلك الوقت "دار بيني وبين "كريمة" حوار عميق جدا انتهى باتخاذي لقرار لا رجعة فيه، سأنشر قصة حياتي.

[1] د.حسن بحراوي، مرجع سبق ذكره، ص217.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص5.

من فرط فرحتها عانقتني "كريمة".

- وأخيرا التقيت بامرأة شجاعة تكتب وتنشر في الموضوع الذي تحكي عنه النساء سرا. نقحي عملك، وضعي له عنوانا، ولا تذكري أحدا باسمه، وأنا سأتدبر لك كاتبة ماهرة وسريعة لطبع العمل وسننشره في أقرب وقت"[1]

وعنوان الكتاب الذي أصدرته فاطمة نفسه عنوان كتاب "فيروز رشام" "راجعت ما كتبت، ونقحته، وسميته "تشرفت برحيلك""[2] ومن خلال هذا سنكشف لكم صراع شخصية "فاطمة" مع باقي الشخصيات بما أن هذا البعد يتميز بصراع الشخصيات فيما بينها.

"في خضم صراعات الإيديولوجيات في الواقع فإن ما يعتبر الدرع الواقي لكل منها هو داخل (قدر كبير أو قليل) من التعميم والتمويه"[3]

- يركز هذا البعد على اختلاف الأفكار والمعتقدات وصراع الشخصيات فيما بينها ويكون صراعا سياسيا أيضا في بعض الأحيان وكيف يثبت الفرد موقفه ورأيه "فالاختلاف بين الشخصيات في العمل الروائي يحدث صراعا بينها، ينتج من اختلاف الأيديولوجيات والطبقات التي تنتمي إليها الشخصيات"[4] ويشمل طريقة تعامل الفرد مع دينه في ظل تصارع الآراء وكيفية الدفاع عنه، وفي روايتنا يوجد هذا النوع من الصراع حيث نجده ظاهرا في تلك اللحظة التي بدأت فيها فاطمة تتحدث عن تغير أشكال الناس "أشكال الناس بدأت تتغير على نحو غريب، سواء في قريتي أو في مدينة بومرداس. يبدو أن

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص243.

[2] المصدر نفسه، ص243.

[3] د.حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الحمراء–شارع جان دارك، بناية المقدسي، الطابق الثالث، بيروت، ط1، 1990، ص17.

[4] حنين ابراهيم معالي، البعد الإيديولوجي في رواتي "موسم الحوريات وأبناء الريح" وأثره الفني في البناء الفني، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد1، الجامعة الأردنية، 2017، ص110.

إطلاق اللحية ولبس القميص القصير هي موضة الرجال الجديدة. ومع انتشار أخبار اختطاف البنات وقطع أرجل من ترتدي سروالا، أو قطع رأس من لا تضع خمارا، بدأ الأولياء يلزمون بناتهم بتغطية الشعر خوفا عليهن، ولم يكن للحجاب أي معنى اجتماعي قبل ذلك."[1] كانوا يلقون الأوامر باسم الدين حتى وإن كانت هذه الأوامر زهقا لأرواح الأبرياء.

– أو عندما كان فؤاد يهدد "فاطمة" لأنها لا تضع الحجاب "في نهاية الأسبوع هددني. لم أكن لأتحجب لأنه أمرني، إن كنت سأفعل فلأن أخبار خطف غير المحجبات وقطع رؤوسهن وتعذيبهم ترعب النساء والأولياء هكذا بدأت موجة التحجب تجتاح المدن الجزائرية، وأبي بدأ يخاف علي أيضا"[2]

إن تعصبهم أدى إلى فقد كثير من الأطفال لأهلهم كما حدث مع "أمين" تلميذ "فاطمة" "سار إلى مكانه دون أن يرفع رأسه. لم يكن كعادته، كان مصباحا وقد انطفأ. سرت إليه وانحنيت:

– أهلا بعودتك أمين. هل أنت بخير؟

ظل صامتا مطأطئ الرأس وهو واقف جنب طاولته. مددت يدي

– أمين أنظر إلي، لم غبت كل هذا الوقت؟

سالت دمعة من عينيه دمعتان شفافتان رأيت فيهما وجهي. نطق تلميذ من مكانه دون أن يسأله أحد:

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص63، 64.

- آنستي .. قتل الإرهابيون أباه !"[1]

لقد حرقوا قلب طفل صغير على والده هل بهذه الطريقة ندافع عن الدين؟، طبعا لا فهذا سيجعل ديننا يبدو كأنه دين عنف.

– وعندما غدر الإرهابيون بزوج "جميلة" المستقبلي خاصة أنه من المجندين"حدث ذلك ليلة البارحة عندما كان عزيز في مقهى بمدينته يحتفل مع أصدقائه بزواجه القريب لساعة متأخرة من الليل، وقد علم الإرهابيون، أو تم إعلامهم من بعض الخونة، بأن شابين من المجندين في الخدمة الوطنية قد جاءا لزيارة أهلهما وهما هناك أيضا جاؤوا في سيارة ونزلوا عند باب المقهى وأطلقوا الرصاص عشوائيا على الجميع، ليقتلوا معظم من كان هناك، وأخذوا ما في صندوق المال وغادروا."[2] لم يرتكبوا أي ذنب لكنهم قتلوا غدرا بسبب مجموعة من الأشخاص التي تتخذ الدين كوسيلة لفعل ما يحلو لهم، لم يعد الناس يشعرون بطعم السعادة بسبب هؤلاء المنتهكين لقداسة الدين ونظافته "اغتيل العريس ثلاثة أيام قبل العرس ! أما العروس فستموت تدريجيا موتة أسوأ من تلك التي مات بها عريسها. لا أعراس بقيت، ولا أفراح، ولا حب. بدأ الإرهاب يقضي على كل أشكال الحياة."[3]، بالفعل فكل شخص يفكر بأن يفرح يصيبه الرعب بسبب الإرهاب كأن الفرح في نظرهم أيضا جريمة.

لقد كانت الجزائر تمر بفترة صعبة حيث أن الجزائريين أصبحوا ينتظرون دورهم وموعد موتهم على يد إرهابي ما "ما هذه الأيام العصيبة، الموت يزور بيوت الجزائريين بيتا بيتا، ولا أحد يعلم متى سيصل دوره"[4] وتكمل "فاطمة" قولها بأن الأحياء سيعيشون

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص94.

[3] المصدر نفسه، ص94.

[4] المصدر نفسه، ص95.

عذابا أكثر من الذين ماتوا "اليوم نبكي على الموتى، وغدا سنبكي على الأحياء ! فهمت هذا الدرس مبكرا: إن الضحايا الحقيقيون للإرهاب ليس الذين ماتوا، إنما الذين بقوا على قيد الحياة !"[1]

أو عندما أراد "فؤاد" تزويج "فاطمة" رغما عنها وعندما أرادت التعبير عن رأيها بأنها غير موافقة هددها "فؤاد" أنه سيقتلها رغم أن طارق جاء لخطبتها على سنة الله ورسوله لكنه لم يوافق وهذا دليل على أنه لا يهمه أن يطبق تعاليم الدين الإسلامي، بل يريد أن يفرض سلطته على أخته باسم الدين فلو كان حقا يريد تطبيق الدين كان سيوافق على زواجها من طارق الذي قدم لطلب يدها على سنة الله ورسوله "اسمعيني جيدا، خضت معك ما يكفي من المعارك فلتتزوجي أحسن لك إن كنت تريدين العيش. وإياك أن أسمعك تنطقين باسم ابن الحرام ذاك، أما إذا عاد ثانية فأقسم بأني سأقتله وأقتلك.

- سأقتلك، سأقتلك، تظل تهددني ! هذه هي مهمتك الجديدة ! فلتقتلني إذا وترحني منك. من قال لك بأني لا أريد الموت !"[2]

وبخصوص الحجاب فهو رمز للسترة والعفاف وبعمره لم يكن وسيلة لقتل البنات لكن الإرهابيين قد شوهوا صورته أمام الغير وجعلوه بمثابة وسيلة لقتل الفتاة إذا لم ترتده "أجل لقد تحجبت. فعلت ذلك حفاظا على حياتي لأني لو خرجت بدون خمار هذا الصباح لكسرا أضلعي، خاصة وأن أبي ليس بالبيت وقد أمرني بذلك هو أيضا"[3]، وعندما عاد "طارق" لخطبة "فاطمة" مرة أخرى رفض الأب ذلك ولم يستطع أن يفرض رأيه أمام رأي ولديه الإرهابيان "غضبت جدا عندما أدركت أن أبي الذي من أجله تراجعت عن الهروب مع حبيبي، لم يكن يملك ما يكفي من الشجاعة ليعلن انتصار الحب على

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص95.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] المصدر نفسه، ص106.

الإرهاب، ويفسخ خطبتي من رجل ليزوجني بآخر. ربما كان هو أيضا منطقيا وعقلانيا مثلي !"[1]

– وحينما بدأت "حفيظة" أخت "ناصر" بإفراغ المحتويات التي أحضروها معهم في موكب الحنة الخاص بفاطمة فمن بين المستلزمات التي أحضروها "جلباب": "كمن يصعقني بضربة كهرباء عالية التوتر، استفقت وعدت لوعيي غير مصدقة أنها قالت:

– وهذا جلبابها !

سألتها سعاد:

– وأين الفستان الأبيض؟

أجابتها بتحد:

– وأي فستان أبيض؟ ستزف بالجلباب !

لم أستوعب الفكرة، وانتفضت من مكاني، فسقط ما في حجري:

– جلباب ! هل سأزف بجلباب أسود !"[2] كانوا يعتقدون أن ارتداء المرأة للفستان الأبيض في يوم عرسها يجلب العار حسب تفكيرهم، لكن يمكن للمرأة ارتداء الفستان الأبيض مع تغطية رأسها بطرحة تشبه الحجاب أو (الخيمار) يوجد فساتين أعراس من هذا النوع ولا يوجد عيب في ارتدائها.

وفي مشهد آخر تعاتب "حميدة" فاطمة بل توبخها بسبب رفضها ارتداء الجلباب وقامت بارتداء فستان أبيض:

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 121، 122.

[2] المصدر نفسه، ص123.

"– اسمعيني جيدا.. ستزفين إلى بيت زوجك بالجلباب والنقاب كما فعلت أنا. أنت ذاهبة إلى إمام، أم أنك نسيت ذلك؟ !"[1] كأن ارتداءها للفستان الأبيض عار على الدين وجريمة لا هذا غير صحيح فهم يتحدثون باسم الدين فقط. "وما المشكلة إن لبست فستانا أبيض؟ ماذا تلبس العروس إذن؟

لم يكن أبي يعرف أن فستان العروس عند السالفيين لونه أسود! وأي فستان !صدمة الاكتشاف لأن هذا لم يكن من تقاليدنا إطلاقا"[2] تقاليدهم التي يتبعونها باسم الدين والتي أغلبها خاطئة فالله سبحانه وتعالى لم يأمر الرجال بأن يقوموا بإذلال النساء كما يفعلون.

- وفي اللحظة التي مر بها بعض الجنود على طارق وقاموا باستجوابه بشأن جلوسه في ذلك الوقت ولكنه لم يكن في وعيه فأجابهم "اذهبوا للقبض على الإرهابيين الذين يقتلون الناس عوض أن تطاردوا العشاق !

لم يكن واعيا تماما لما يقول، وعندما عرفوا أنه معطوب حب تركوه في حاله، وغادروا وهم يضحكون من تعليق أحدهم:

- من لم يجننه الإرهاب في هذه البلاد جننه العشق !"[3] كان الأمر يبدو لهم مضحكا لكن تعصب الإرهاب سيجعل هذه النكتة حقيقية "هي اليوم مجرد نكتة، لكن قريبا ستصبح حقيقة مفزعة. ففي السنوات اللاحقة تزايد عدد المجانين في الجزائر بشكل رهيب. إنهم ضحايا الإرهاب على أشكاله، إرهاب السلاح وإرهاب العواطف..."[4]

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص123.

[2] المصدر نفسه، ص124.

[3] المصدر نفسه، ص129.

[4] المصدر نفسه، ص129.

– ما المشكلة إن عاش الأشخاص الحب وتزوجوا ممن يحبون إذا كان زواجهم على سنة الله ورسوله.

– كانت "فاطمة" تتخيل أن البليدة مدينة الورود ستكون أجمل من المكان الذي كانت فيه لكن تصورها كان عكس ما وجدته حيث معظم النساء –إن لم نقل الكل– كن يرتدين الجلباب فتقول "فاطمة" "أنا الهاربة من مدينة الإرهاب إلى مدينة الورود، وإذا بي في مدينة أكثر إرهابا !"[1]

– وفي إحدى الأمسيات كانت أم ناصر تملي أوامرها على "فاطمة" وتعلمها بشروط الإقامة في منزلها كأنها مستأجرة وليست زوجة ابنها "عدنا بصمت كما ذهبنا، وفي المساء جمعتني أمه بحفيظة وحميدة وقدمت لي شروط الإقامة في بيتها:

– أولا تذكري دائما أنك في بيت إمام وبيت رجال. لا تنزعي الخمار أبدا، والبسي فساتين طويلة الأكمام، وإياك، وإياك من "بيجامات السروال". الكحل والزينة لزوجك فقط وفي غرفتك فقط، فلا تخرجي بهما أبدا. لا تسلمي على أحد من الرجال من غير المحارم، ولا خروج لك من البيت إلا مع زوجك..."[2]

إذا قمنا بتحليل هذا القول الخاص بأم ناصر فمعها الحق في البعض منه لكن بقولها: "تذكري دائما أنك في بيت إمام وبيت رجال"[3] فلا أتفق معها هي تقد بالإمام ابنها "فاتح" كيف يكون إماما يدعو للإسلام وهو إرهابي يدعو لزهق الأرواح وقتل الأبرياء.

وكم كان والد فاطمة يعاني من نهب الإرهاب لسلعه الموجودة في الدكان وما زاده هما هو أن ولداه "فؤاد" و "رشيد" التحقا بشكل علني بالجماعات الإرهابية "فؤاد ورشيد التحقا فعليا ونهائيا بالجبل، ولم يعد ذلك سرا على سكان القرية أو الشرطة التي وضعتها

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص130.

[2] المصدر نفسه، ص130.

[3] المصدر نفسه، ص130.

في قائمة المطلوبين أحياءا أو أمواتا."[1] وعن معاناة والد "فاطمة" من نهب سلعه من الإرهابيين تقول "يظل يتابع أخبار الجزائر في الراديو الموجود في دكانه الذي يفرغونه ليلا كلما جاءوا. أبدا لن يرضى بتمويل الإرهابيين، وقد أخبر الشرطة بذلك، لكن يبدو أن الأمن الجزائري لن يتفرغ حاليا لحراسة الدكان كل ليلة، في الوقت الذي يتوالد فيه مئات الإرهابيين يوميا، ليزرعوا القنابل هنا وهناك ويتصيدوا الناس في الحواجز الأمنية المزيفة."[2] بالفعل كيف ستتفرغ الشرطة لحراسة دكانه علما أن ولداه هما السبب في ذلك النهب بحجة أنهم دعاة الإسلام ويجب أن يحصلوا على مختلف المؤن.

أثر العشرية السوداء على تصرف الشخصيات في الرواية

ما زاد رعب فاطمة هو أخو زوجها "فاتح" حيث كان تابعا للإرهاب فقد كان يتحجج بالدين كي يزرع أفكاره المرعبة والمشوهة للإسلام"أما فاتح لم يكن إرهابيا وفقط، إنما هو أميرهم أيضا ! أصبح كثير الغياب عن البيت، فالمسجد الذي يعمل فيه خارج مدينة البليدة ببضع كيلومترات ... في الأيام التي يأتي فيها إلى البيت كأنما ملك الموت قد حل بيننا، يسود الصمت ويبقى صوته الخشن وحده يعم الأجواء. يجلس في الصالون مع أمه يفتي، ويحلل ويحرم في أتفه الأمور. لاحقا أصبح يغيب لأيام، ثم لأسابيع، ثم التحق نهائيا بالجبل. "فاتح" من ذلك النوع الذي يمكنه حقا قتل إنسان بكل برودة، فالشر كله يخرج من بين أصابعه وعينيه."[3]

كانت فاطمة تظن أنها ستجد الراحة بزواجها كي تهرب من سجن أخويها الإرهابيين لكن للأسف من هرب من السجن وقع فيه، فقد أصبحت جزء من عائلة كلها إرهابيون، حتى الأم، إنما المعتقدات التي يعتقدونها باسم الدين في الحقيقة هي تعصب

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 141.

[2] المصدر نفسه، ص141.

[3] المصدر نفسه، ص141، 142.

وانغلاق ودعوة للعنف وزهق أرواح الأبرياء "موجة الإرهاب تزداد وترتفع، وملامح المجتمع الجزائري تنحو للتغير. ملابسه، عقليته، عاداته، يومياته... كل شيء يتغير نحو الانغلاق والقبح والتعصب. العنف ينخر البلاد يوما بعد يوم، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وقد أصبح للإرهاب ألف شكل وشكل للوجود؛ إرهاب الإرهاب، إرهاب الأزواج، إرهاب الإخوان، وإرهاب النساء ! أجل ففي البيوت نوع آخر من الإرهاب لم تضعه الدولة في مخططاتها لتحاربه !"[1] وهنا تشير فاطمة لأم زوجها وأخواته والتي يلقين كل المسؤولية على فاطمة فقط لأنها عاملة، ما هذا الاعتقاد الغريب هل العمل عيب، إن هذا التفكير خاطئ فنحن في زمن تحتاج فيه المرأة إلى العمل لكي تساعد نفسها، إذا لم تجد من يساعدها فهل تموت جوعا بسبب اعتقادهم الفاشل، أين المشكلة إذا عملت المرأة في مهنة تحترم الإسلام وتحتوي على شروطه "كلما عدت إلى المنزل وجدت ثلاث إرهابيات في انتظاري. فأمه لا تكف عن معايرتي وتحميلي مسؤولية كل الأعمال المنزلية بحجة أني عاملة."[2]

– وقد كانت أم "فاتح" تدعمه رغم علمها أنه إرهابي، حتى أنها لم يكن لديها مشكلة في هذا "فاتح مطلوب لدى الشرطة حيا أو ميتا، مثله مثل فؤاد ورشيد، فمع ذلك ينجح من وقت لآخر في اقتحام المنزل كسارق. لم تكن أمه تتذمر كثيرا، وإن كانت تطرده كلما دخل فذلك حفاظا على حياته فقط، لأنه على لائحة المطلوبين وقد يوشى به إلى الشرطة".[3]

– ناصر أخوه، أيضا أصبح مثله فعندما ذهب لخطبة "فاطمة" كان يبدو عليه أنه مهذب ومرتب وغير مشغول بالتيارات الفكرية التي يتبعها الإرهاب ولا يبدو أنه متعصب

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص143، 144.

[2] المصدر نفسه، ص 145.

[3] المصدر نفسه، ص145.

مثلهم لكن تغير بعدها "ناصر الذي رأيته أول مرة بلحية خفيفة مهذبة، أصبحت لحيته الآن غابة متوحشة، ويلبس قميصا قصيرا."[1] لا بأس في لحية طويلة لكن يجب تهذيبها وترتيبها، كي لا تبدو مخيفة، وسرواله القصير أيضا دلالة على اتباعه للجماعات الإرهابية فهم كانوا يتميزون بهذا الثوب، حتى الثياب لا بأس بها، لكن ماذا عن تلك الجرائم التي كانوا يقومون بها في حق الإنسانية، ما ذنب أولائك الأطفال كي يخسروا أهلهم ويعيشوا يتامى، كم فتاتا ترملت قبل زواجها، كم أما خسرت أولادها وحرق كبدها، الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى تسليم لم يقم بالحرب على الكفار إلا بعدما أمره الله، لكن هم يقتلون لكي يحصلوا على السلطة، "سعاد" إحدى ضحايا الإرهاب فقد خسرت حبيبها الذي كان ينوي خطبتها بعد عودته من مهمته "مجزرة عند مخرج ولاية المدية تودي بحياة ثلاثة عشر شخصا من بينهم شرطي.

– أخذنا منها الجريدة وقرأنا التفاصيل: نصب الإرهابيون حاجزا أمنيا مزيفا وأوقفوا حافلة ركاب صغيرة وقتلوا جميع ركابها ... كل الإشارات تقول أنه حبيبها، لكن "سعاد" لا تريد التصديق... لقد ذبحوه من الوريد إلى الوريد عندما عرفوا أنه شرطي. فقد بادر بإطلاق النار ما إن أوقفوا الحافلة، وقتل واحدا وجرح اثنين، أصابوه بطلقاتهم وأسقطوه أرضا ثم ذبحوه!"[2]

– ولديهم بعد فكري آخر فيما يخص التفرقة بين الفتاة والصبي فهم ينقلبون إلى الحزن واسوداد الوجه عندما تولد فتاة ولكن عندما يولد صبي فإن الفرح يعم المكان كأنهم لم يفرحوا من قبل "أمال بدأت الدراسة وآخذها معي كل يوم، أما محمد فلا أخاف عليه كثيرا مادام محبوب جدته وفاتح، فهما يرعيانه جيدا لأنه كما تقول حماتي دائما:

– هو منا ولنا، لأنه ابننا ...

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 142.

[2] المصدر نفسه، ص148، 149.

بالله من يستطيع فهم هذه العقلية !"[1]

وللأسف لازال هذا الأمر قائما حتى الساعة، أو عندما يتحدث فاتح مع أخيه ناصر بخصوص النساء، طريقتهم في التحدث تجعل المرأة تشعر كأنها كائن لا قيمة له رغم أن الله قد كرمها في كتابه الكريم: "سمعت "فاتح" مرارا يردد على ناصر:

– "فاضربوهن" .. الله من قال ذلك، أتعصي أوامر الله !

فتاوى فاتح وناصر لا تنتهي، يحيكان الدين على مقاسهما تماما. لا شيء يحلو لهما الحديث عنه أكثر من النساء ! يكرران دائما نفس الجمل من نوع: الرجال قوامون على النساء، وانكحوا ما طاب لكم من النساء..."[2]

– قررت سعاد صديقة فاطمة أن تصبح شرطية لكي تحارب الإرهاب وتنتقم لأجل موت حبيبها بشكل بشع، والذي تم قتله عند تأدية واجبه "أخبرتني جميلة أن سعاد التي بقيت في الفراش ثلاثة أشهر، لا حية ولا ميتة، استيقظت ذات صباح وقد اتخذت قرارا لا رجعة فيه: لن تدرس الطب بعد اليوم ! ستصبح شرطية مثل مراد، وستقاتل الإرهابيين حتى الموت !!... طلبت من صديق مراد أن يدلها على الطريق الصحيح لتحقيق هدفها الجديد، وبالصدفة كانت هناك مسابقة لتوظيف الشرطة في تلك الفترة، فالأمن الجزائي منهك وعشرات رجال الشرطة والدرك والجيش يموتون أسبوعيا على يد الإرهاب. لم تكن تريد سعاد أن تكون مجرد شرطية عادية، وقد أصرت على الدخول في القوات الخاصة بمكافحة الإرهاب أيما إصرار، وفعلا كانت من أوائل النساء اللواتي التحقن بها. حاليا في تربص ولينتظرها الإرهابيون في الجبل."[3]

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص 162.

[2] المصدر نفسه، ص169.

[3] المصدر نفسه، ص150.

– عانت الجزائر من الاستعمار الفرنسي وبعدها عانت من فترة العشرية السوداء، بسبب الإرهاب بات الكل يخاف من أن يفقد أغلى الناس على قلبه "الآن انكسرت قلوبنا جميعا. لا حب لا فرح. وحده الموت يحلق في كل مكان ليخطف من كل حبيب حبيبه، ومن كل بيت واحدا أو اثنين أو ربما أكثر. تطرف الإرهابيين بلغ أقصاه، والجزائر تتوجع وتئن في عالم لم يستوعب بعد معنى الإرهاب !"[1]

– عندما وقع شجار في المنزل بين "فاطمة" و"أم ناصر" وأخواته بدأ "ناصر" بالصراخ عليها وعندما حاولت الدفاع عن نفسها قام بضربها وفي لحظة غضب قالت له طلقني فضربها بقسوة أكثر من السابق إلى أن سحبها رياض أخو زوجها الأصغر من بين يديه والغريب أن فاتح لم يهمه الدماء التي كانت تسيل من فاطمة بقدر همه أنها مكشوفة ولا تضع خمارا "كنت أبكي مكشوفة الشعر وهو ما أزعج "فاتح" جدا ولم يزعجه أبدا الدم الذي يسيل من فمي !"[2]

أخو زوجها الأصغر "رياض" معتقداته تختلف عنهم فهو لا يفكر مثلهم بالعكس، هو يعتبرهم وحوش يقتلون وينهبون ويعتدون على النساء مستغلين ضعفهن باسم الدين "المعركة الآن انتقلت إلى رياض وفاتح وناصر.

تلفظ رياض بجملة قبل أن يلكمه فاتح:

– أنتم وحوش ولستم بشر !"[3]

هو الشخص الوحيد الذي كان يدافع على فاطمة في المنزل إضافة إلى أخته رقية وهو لم يتحمل تطرفهم وإرهابهم فغادر المنزل "أخذ رياض محفظته والجاكيت وغادر البيت

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص150، 151.

[2] المصدر نفسه، ص 156.

[3] المصدر نفسه، ص156.

وهو يقسم بأنه لن يعود إليه".[1]

وعندما تعرضت "فاطمة" لضرب مبرح استدعى أخذها للمستشفى، طلب الطبيب منهم الخروج للخارج كي يفحصها لكن جن جنونهم عند سماع هذا لم يهتموا بحالتها الخطيرة بل ما شغل فكرهم هو كيف ستبقى لوحدها مع الطبيب "اقتحم "فاتح" المكتب دون إذن، واستفسر ما الأمر، وأخبره "ناصر" أن هذا الطبيب قليل الأدب، قد طلب منه مغادرة المكتب ليبقى وحده ! قبض "فاتح" على صدر الطبيب وراح يخنقه:

- كيف تطلب من رجل أن يترك لك زوجته؟

جعل من الأمر قضية شرف ! وأنا على الطاولة أموت وأحيا من الألم وهو يتشاجرون !"[2] والطبيب كانت نيته حسنة أراد أن يبقى معها لوحده كي يسألها عن سبب تلك الجروح العميقة التي تعرضت لها "لم تكن نية الطبيب المناوب سوى معرفة حقيقة ما حصل، لأن ناصر لم يدعني أتكلم. لو كان لناصر ذرة شرف ما كان مد يده علي، أما فاتح فقد قتل عشرات الأرواح البريئة ويتكلم عن الأخلاق !"[3] تذكر الأخلاق فقط عندما طلب الطبيب خروجهم لكن لم يتذكرها في الوقت الذي كان يسفك فيه دماء الأبرياء ويزهق أرواحهم، أو عندما تاب وفتح محلا صغيرا لبيع الملابس الداخلية للنساء لم يكن لديه مشكل في الأخلاق هنا عندما مرضت فاطمة أقام شجارا كبيرا فقط عندما طلب منهم الطبيب الخروج وعندها أصبح الأمر متعلقا بمصلحته نسي الأخلاق "فاتح اقترض بعض المال من أحد التائبين أمثاله ممن عادوا بثروة من الجبل، وفتح محلا صغيرا يبيع فيه الملابس الداخلية للنساء ! كانت ظاهرة لافتة وقتها حيث اشتغل كثير من التائبين في بيع الملابس

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص156.

[2] المصدر نفسه، ص164، 165.

[3] المصدر نفسه، ص165.

الداخلية للنساء ! من يستطيع فهم هؤلاء الرجال"[1]

– إن تعصب الإرهابيين وتطرفهم تسبب في كثير من الانقسام والشتات بين العائلات الجزائرية وزرع وسطها التصادم الفكري وحتى السياسي "موجة التطرف والتعصب تسببت في انقسامات كبيرة داخل آلاف العائلات الجزائرية التي لا يتفق فيها الجميع على هذا الفهم الجديد للدين والتدين، وهذه العائلة ليست استثناءً"[2] وهذا ما حدث مع "رياض وعبد الله" اللذان رفضا طريق أخويهما "ناصر وفاتح" فشكل هذا انقساما داخل العائلة، لم يتوقف الأمر هنا بل انتقل إلى غسل دماغ محمد ابن "فاطمة" الأكبر بأفكارهم ومعتقداتهم المشوهة "من حين لآخر يأتي فاتح ليزور أمه، ويحشي دماغ محمد بألعن الأفكار. ذات مرة سمعته يقول له:

– ماذا أنت فاعل في المدرسة يا محمد ! دعك منها، "اللي قرا قرا بكري" كما يقول المثل. لو عندي بعض الصحة مثلك، لذهبت للجهاد في سوريا أو العراق، فالموت شهيدا شرف عظيم !

تمزقت أمعائي عندما سمعت هذا الكلام. ولحسن الحظ كان مجرد كلام، ولم يأته فعلا بطريقة للذهاب إلى هناك ! محمد ليس ابني كما تقول حماتي إنما ابنهم"[3]

– وتصرفات أخت فاتح قد فضحت نفاقهم الديني فقد كانت تتستر بالجلباب لكن كانت تفعل ما تفعله دون علم أخيها كانت حقا فتاتا لعوبا تتجول كما تريد وسط الرجال بكل حرية وأمان وتدعي التدين بارتدائها للجلباب يا له من تدنيس لقداسة ديننا الإسلامي

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص173.

[2] المصدر نفسه، ص190.

[3] المصدر نفسه، ص223.

النقي"ودفنت هويتها لتجوب وتجول بين عشاقها بمنتهى الحرية والأمان، أخوها الإرهابي في ذات الأمكنة. متجلببة لكن نادرا ما تصلي !"[1]

لكن فاطمة قد بررت فعلها بسبب المجتمع المنغلق الذي لا يرى من الدين سوى اللحية والحجاب "في البداية كنت أرى ذلك نفاقا اجتماعيا لا يحتمل، ثم اكتشفت لاحقا أن هذا ما ينفع مع مجتمع منغلق لا يرى في الدين سوى لحية وخمار"[2]، يوجد صراع إيديولوجي واضح في هذه الرواية ففاطمة لم يسمحوا لها بارتداء فستان أبيض فحسب تفكيرهم هذا لا يجوز، يجب أن تلبس الجلباب لكن "حفيظة" أخت "فاتح" زفت بالفستان الأبيض ما هذا التناقض الفكري؟ "زفت "حفيظة" بفستان أبيض عاري الصدر وفوقه برنوس أبيض شفاف كما أرادته هي وأمها، وتذكرت كيف أجبرتني على لبس الجلباب الأسود يوم زفافي !"[3]

– محمد ابن "فاطمة" أصبح مثل عمه فاتح فهو حسب اعتقاده إذا كان رجلا فيمكنه أن يمارس سلطته كما يحلو له حتى وإن كانت أمه أمامه "صرخ وحطم وكسر كل ما وجده أمامه، وحماتي تزيد من لهيبه ولهيبي:

– يا أسوأ النساء أتضربين الرجال الآن !

حاولت الإمساك به لإيقافه عن الكسر والتحطيم، فشدني من ذراعي ورماني ليردني الجدار. الآن أصبح لدي ابن يضربني.. لقد اكتملت المأساة !!!"[4] وهذا عندما ضرب محمد أخته أمال.

---

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص200، 201.

[2] المصدر نفسه، ص201.

[3] المصدر نفسه، ص201.

[4] االمصدر نفسه، ص224.

- وعندما تخلصت فاطمة من السجن الذي كانت موجودة فيه مع ناصر وعائلته وذهبت إلى السيدة زكية، امرأة متفتحة ومتفهمة استقبلتها في منزلها، كانت فاطمة تقرأ القرآن كي ترتاح قليلا، فكانت تتوقف عند آيات معينة "... لكن بعض المعاني تستوقفني، وتعيدني إلى قلب النص، أمر على الآية، الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، "[1] "وأتوقف متأملة المعنى. سمعت كثيرا الرجال في حياتي يقولون، الرجال قوامون على النساء، لكني لم أسمع أحدا منهم أكمل، بما أنفقوا من أموالهم، ! كل ما أنفقته على ناصر من مالي وهو يتعالى علي بقوامته !"[2] فحسب اعتقادهم يأمرون وينهون ويمارسون سلطتهم على النساء دون أن يمنحوهن حقوقهن وهذه الفكرة كانت راسخة في عقولهم بشكل قوي، وتتوقف عند آية أخرى "وأمر على الآية، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، وأتوقف متأملة زواجي الذي كان حلبة مصارعة خسرت فيها نفسي وحياتي، لا سكينة فيه ولا سكن !"[3] فمعتقدهم عن النساء هو أن يعتنوا بالمنزل وينجبوا الأطفال وفقط، وأيضا "أمر على الآية، فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا،"[4] "فأقول في نفسي أنا زوجي لا أمسكني بمعروف ولا سرحني بمعروف !"[5] فهم كانوا يصوغون الدين حسب ما يخدم مصالحهم فحتى زوجاتهم يعاملوهن معاملة الخادمات "وأمر على الآية، فانكحوا ما طاب لكم من

---

[1] القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مطبعة المختار، شركة القدس للتصدير، شارع جوهر، –الدراسة–القاهرة، د ط، 2008،الآية:34، سورة النساء.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص238.

[3] المصدر نفسه، ص238.

[4] القرآن الكريم، الآية:231، سورة: البقرة.

[5] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص238.

النساء مثنى وثلاث ورباع، وأتساءل لماذا لا أحد يكمل، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة،"[1]، هم كانوا ينظرون للدين بنظرة تخدمهم "قرأت وتمعنت، وقررت أن لا أسمع لأحد يفتي باسم الدين، فقد أفسدوا علاقتنا بالله بعدما جعلونا نعتقد بأنه هو من أمر بإهانتنا وذلنا !"[2] فكل واحد منهم يفتي كما يحلو له كي يفتن الناس بتعصبه.

"وعندما أمر على الآية، إن بعد العسر يسرا، أتعلق بها كما يتعلق غريق بقشة، وأكررها على مسمعي ليطمئن قلبي"[3] فالقرآن يريح القلب ولم يبعثه الله مع رسوله لكي يأتي بعض الناس ويستخدموه لنشر الفتنة والتعصب.

في ذلك الوقت قد انتشر الرعب في قلب كثير من الناس وخاصة النساء لكن بعد انقضاء فترة العشرية السوداء قررت "فاطمة" التشجع لكي تكتب وتحاول مساعدة النساء للتخلص من خوفهم وصدمتهم من الأحداث التي وقعت وسيطرة أزواجهم القامعة والخالية من الحب والاحترام والمعتقدات السائدة في ذلك الوقت أن المرأة حدودها تنتهي عند أعمال المنزل وإنجاب الأطفال "أنت محقة إن حررت امرأة واحدة من خوفها سأكون سعيدة. ثم إن لم أتجرأ على النشر فذلك يعني أني مازلت مسكونة بالخوف والجبن"[4] ديننا، دين رحمة ومحبة وليس دين تعصب وتطرف.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص238.

[2] المصدر نفسه، ص238.

[3] المصدر نفسه، ص238.

[4] المصدر نفسه، ص243.

خـاتمة

خاتمة:

في الأخير وبعد دراستنا لبنية الرواية في رواية "تشرفت برحيلك" "لفيروز رشام" من تصنيف الشخصيات إلى الأبعاد الأربعة فقد خلصنا إلى الملاحظات التالية:

- من خلال البعد الجسمي فإن الكاتبة فيروز رشام قد فصلت في وصف شخصياتها كي تنقل البيئة التي فرضها الإرهاب مثلا من ناحية اللباس (الجلباب الأسود تزف به العروس والسروال القصير نوعا ما للرجال) ومن ناحية الشكل (اللحى الكثيفة).

- في البعد النفسي لاحظنا شخصية "فاطمة" التي نقلت الكاتبة من خلالها الأزمات النفسية التي عاشها الشعب الجزائري في العشرية السوداء والتي خلفت أمراضا كثيرة وعقدا نفسية (كالاكتئاب) حيث عاشت "فاطمة" فصولا مأساوية في حياتها إلى أن اجتمعت "بطارق" وكانت شخصيتها نموذجا عن الكثير من الذين أصيبوا بصدمات نفسية.

- أما في البعد الاجتماعي، فإن الكاتبة قد حاولت من خلال –تنويع الشخصيات من أساسية وثانوية– تجسيد الفروقات البارزة في تلك الفترة والتي كانت جلها ضد النساء، ففي ذلك الوقت أن تكون المرأة عاملة تعتبر فضيحة وتصل إلى اعتبارها جريمة، وكانت تحرم من أبسط الأشياء وتعاني من الإهمال والتعنيف الجسدي واللفظي.

- في البعد الإيديولوجي استطاعت "فيروز رشام" نقل الصراع الفكري والعقائدي في فترة العشرية السوداء والتي كانت تتميز بالتعصب وإصدار القوانين التي تخدم مصالحهم باسم الدين كتعاملهم السيء مع المرأة وسلطتهم المبالغ فيها عليها، رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالرفق بها، وقد نقلت لنا هذا الصراع من خلال شخصية (فاطمة – طارق – سعاد – ناصر– فاتح – فؤاد – رشيد) واختلاف المبادئ والأفكار بين هذه الشخصيات.

- عنوان "تشرفت برحيلك" المكون من كلمتين، هو العنوان الذي يلخص المعاناة التي عاشتها "فاطمة" مع زوجها والتي انتهت تقريبا عندما تطلقت منه ورحلت إلى مكان آخر.

- قصة حب "طارق وفاطمة" عنوان الوفاء والصدق، حيث حافظا على حبهما رغم المعتقدات والتعصب السائد، وبقي حبهما مستمرا إلى أن اجتمعا مع بعض في النهاية.

- خلال قراءتي للرواية شعرت كأن الكاتبة تتحدث عن نفسها، أو كأنها صديقة مقربة من بطلة الرواية، وتبقى مجرد ملاحظة شخصية.

- اكتشفنا من خلال تحليلنا للرواية أهمية الشخصية في تحديد بيئة الفرد وتوافقه معها "الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النفسية الجسمية التي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته"[1] كما حدث مع "فاطمة" فشخصيتها لم تكن متوافقة مع بيئتها في ذلك الوقت (فترة العشرية السوداء).

[1] د.أحمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (د ط) 1992، ص29.

الملحق

الكاتبة فيروز رشام:

"فيروز رشام أستاذة في التعليم العالي بجامعة البويرة، صدر لها سابقا رواية بعنوان تشرفت برحيلك في 2017، ودراسة نقدية بعنوان شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي: دراسة أجناسية لأدب نزار قباني في 2016 وكلاهما صادر عن دار فضاءات"[1] إضافة إلى صدور كتابها الذي بعنوان "تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد"، "والذي تسعى من خلالها إلى مناقشة الكتابة والجندر في الثقافة العربية... يعالج أسباب إبعاد النساء عن الكتابة، وهو الكتاب الثالث الذي تصدره فيروز رشام مع فضاءات بعد كتابتها شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي: دراسة أجناسية لأدب نزار قباني ورواية تشرفت برحيلك"[2]، وبخصوص رواية "تشرفت برحيلك"، فقد حاولت أن تنقل لنا المأساة التي كانت تعيشها مختلف النساء في فترة العشرية السوداء والتي كانت تعاني فيها من الحرمان حتى من أبسط حقوقها وهي الحنان والعطف والاحترام وكلها أشياء معنوية، أما الأشياء المادية فلن نتحدث عنها لأنها كانت تعتبر جريمة في ذلك الوقت أن تكون المرأة عاملة وتجني المال وهذا ما عكسته فيروز رشام في روايتها بكل حرفية وإتقان.

[1] www.elwassat.dz، 12 سبتمبر 2021.

[2] www.almayadee,.net، 11 تشرين الثاني 2021.

ملخص الرواية:

رواية "تشرفت برحيلك" للكاتبة فيروز رشام هي رواية اجتماعية مأساوية تبرز فيها الكاتبة عدة قضايا، منها قضية المرأة المعنفة، وقضية الإرهاب، فهي تشخص مشاكل الفرد وخاصة المرأة في المجتمع، المجتمع الذي تلاشت فيه القيم النبيلة والأخلاق وساده الظلم والعنف في فترة التسعينات (العشرية السوداء) هذا المصطلح الذي كان أثر تداولا في ذاك الوقت.

والرواية تحكي قصة تلميذة في الثانوية اسمها فاطمة الزهراء، طموحها كان أكبر، فقد كان حبها للدراسة وقراءة الشعر من أهم الطموحات التي كانت تريد أن تحققهما، بعد ذلك أصبحت مظلومة لا تعرف طعم الحياة، ولا معناها، وذلك بسبب الأوضاع التي كانت سائدة في البلاد ومنها فترة الإرهاب الذي كان منتشرا في الجزائر، الذي بث الرعب في نفوس الجزائريين من تعصب وتشدد وتطرف ديني.

القارئ للرواية يلاحظ أنها أشبه ما تكون بسيرة ذاتية لأنها تقصد قصة معلمة، تحولت بعد ذلك إلى كاتبة مشهورة، فترجع بالذاكرة للوراء مرحلة التسعينات أين كانت تلميذة لتصبح قصتها الحدث العام الذي يقود أحداث هذه الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

تبدأ أحداث هذه الرواية بمقابلة الصحفية لفاطمة الزهراء (بطلة الرواية) التي تحكي لها قصة حياتها، لتعود إلى الوراء، وتحكي أنها كانت فتاة بسيطة، تلميذة في الثانوية، عاشت أوضاع مزرية عانتها في صغرها وتحكي الرواية أنها من منطقة بومرداس بقرية زموري مع عائلتها المكونة من والديها (الأب صالح، الأم نورة)، وأخويها (فؤاد، رشيد)، بالإضافة إلى أختيها (جميلة، نصيرة)، وأخوها الصغير علي، وكانت أمنية فاطمة الزهراء الالتحاق بالجامعة رفقة حبيبها طارق، لكن الحظ لم يسعفها لأنها لم تتحصل على شهادة البكالوريا، وبعد ذلك قام فؤاد بمنعها على إعادة السنة، لتتكسر بذلك أحلام فاطمة

الزهراء، وإرغامها بعد ذلك من طرف أخويها فؤاد ورشيد على ارتداء الحجاب بعنف ووحشية بعد التحاقهم بالجماعات الإرهابية، فدخلت بعد ذلك فاطمة الزهراء إلى معهد التكوين للأساتذة بالجزائر، وتخرجت منه بعد عام. لتصبح بذلك معلمة في الابتدائي، لتتحول حياتها إلى معاناة أكبر بإجبارها على الزواج برجل غير الذي أحبته اسمه ناصر لتبدأ معاناة جديدة في حياة فاطمة، فهو رجل منافق لم يعتبرها زوجة، ولم يقدر قيمتها. تعامل معها بالضرب والتعنيف، لا يحترمها كامرأة. رفض أن تعمل كمعلمة، وعندما علم الأب بذلك، هدده وفي الأخير رضخ ناصر لأمر الأب، ولكن كان ذلك دفع الثمن بالنسبة لفاطمة. فقد حرمها من مالها، وأجبرها أن تختار بين توقيع وكالة أو عزلها من عملها، وهكذا وقعت له وكالة واستغلها ماديا، لتعيش حياة بائسة، وبعد أربع سنوات أصبح لها أربعة أطفال بنتين وولدين، لم تربيهم كما أرادت، لأنها عاشت التعنيف من قبل أم زوجها مليكة التي كانت ظالمة معها، بالإضافة إلى أخت ناصر حفيظة، وزوجة فاتح حميدة اللتان دمرا حياتها وعنفوها عدة مرات، وهذا ما زاد الأمر سوءا إلى إصابتها بالسرطان لتتغير حياتها إلى الأسوأ باكتشافها لخيانة زوجها لها الذي انتهى بالطلاق.

وبطلاقها، كتبت حياة جديدة لفاطمة، لتتحرر من المشاكل وكل الضغوطات التي واجهتها من طرف أخويها، وكذلك زوجها، وما ساعدها على ذلك بعض الأحبة الذين ساندوها في حياتها، لتصبح بعد ذلك كاتبة مشهورة، لتزدهر أكثر بعد كتابتها لكتاب لها يجسد حياتها تحت عنوان "تشرفت برحيلك"، وفي الصالون الدولي للكتاب التقت بحبيبها طارق، كان ذلك لفاطمة الزهراء مثل الحلم لم تصدق ذلك، عشرين سنة دامت من الفراق، إلتقته، وقررت أن تقاسم حياتها معه.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة –أمام جامعة الأزهر–، القاهرة، ط 1، 2008.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. فيروز رشام، تشرفت برحيلك، دار فضاءات للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي، شارع الملك حسين، مقابل سينما زهران، عمان، ط 2، 2019.

ثانيا المراجع باللغة العربية:

2. أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 1992.

3. جيرالد برانس، المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2009.

4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، شارع جاندارك، بناية المقدسي، بيروت، ط 1، 1990.

5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، (د ط)، 2006.

6. حميد الحمداني، النقد الروائي والايديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الحمراء–شارع جاندارك–، بناية المقدسي، الطابق الثالث، بيروت، ط 1، 1990.

7. حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2000.

8. زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 1998.

9. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د ط)، 1998.

10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط 3، 1992.

11. عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1990.

12. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، 1998.

13. فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1990.

14. محمد بوعزة، تحيل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.

ثالثا: المراجع المترجمة:

15. إدوين موير، بناء الرواية، ترجمة: إبراهيم الصافي، مراجعة: الدكتور عبد القادر القط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار الجيل للطباعة، (د ط)، 1995.

16. فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، مدينة اللاذقية، سوريا، ط 1، 2013.

رابعا: المعاجم والموسوعات:

17. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

18. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، 1998.

خامسا: المجلات:

19. حنين إبراهيم معالي، البعد الإيديولوجي في روايتي، "موسم الحوريات وأبناء الريح" وأثره في البناء الفني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 1، الجامعة الأردنية، 2017.

20. علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية "ثرثرة فوق النيل"، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة صلاح الدين، كلية اللغة العربية، العراق.

21. محمد جواد بوعابد، سيد حيدر شيرازي وآخرون، أبعاد الشخصية في رواية: "ترنيمة امرأة ... شفق البحر"، لسعد محمد عبد الرحيم، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، نصف سنوية، دولية محكمة، السنة العاشرة، العدد الثلاثون، جامعة تشرين السورية، جامعة سمنان الإيرانية، 2020.

سادسا: مواقع انترنت:

22. www.elwassat.dz، 12 سبتمبر 2021.

23. www.almayadee,.net، 11 تشرين الثاني 2021.

الملخص:

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية الحديثة، لكونها تعالج مختلف الإشكاليات الاجتماعية والفكرية والثقافية المتشبعة من جهة، لكونه أيضا وعاءا فنيا لمختلف الأجناس الأدبية، مختلفة من جهة أخرى، ونبحث اعتمادا في مذكرتنا على دراسة بنية الشخصية وفق الرواية التي اخترناها والتي بعنوان "تشرفت برحيلك"، ولقد ارتأينا تقسيم هذا البحث حسب ما تقتضيه الدراسة :

إلى مدخل في الجانب النظري، وأربعة فصول في الجانب التطبيقي أوجزنا في المدخل تقديم مفهوم الشخصية بعدة تعريفات منها السيكولوجي، من المنظور الاجتماعي، النقدي الغربي، والمنظور الفلسفي وخلصنا فيه إلى أهمية الشخصية،عند القدماء،وعند المحدثين، لننتقل بعد ذلك إلى الجانب التطبيقي الذي قسمناه إلى أربعة فصول المعنوية بالجسمي، والنفسي، والأيديولوجي، والاجتماعي حاولنا من خلال هذه الأبعاد ذكر أهم الصفات الجسمية للشخصيات إضافة إلى صراعها النفسي، وصراعها الإيديولوجي الذي كان متميزا بتصادم الأفكار والمعتقدات، والبعد الاجتماعي أبرزنا فيه أهم الظروف التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء مبرزا أهم القضايا التي طرحتها الرواية والتي كانت أكثر تجسيدا للواقع المعاش آنذاك.

ونختم ملخصنا هذا بالتحدث عن العنوان "تشرفت برحيلك" الذي لخص فيه معاناة النساء الجزائريات في فترة العشرية السوداء فكان عنوانا مميزا تفننت فيه الروائية فيروز رشام كي تنقل ما عانته النساء في ذلك الوقت من ظلم وتحقير.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الروائية – البنية – السيكولوجية – البعد الفيزيولوجي – الشخصيات المرجعية – الهو – الشخصيات الاجتماعية – الأيديولوجيا

الفهرس:

دعاء	
تشكر	
إهداء	
مقدمة	أ-ج
الجانب النظري: مدخل	
III. مفهوم بنية الشخصية	5
2) مفهوم البنية	5
أ- لغة	5
ب- اصطلاحا	5
3) مفهوم الشخصية	6
أ- لغة	7
ب- اصطلاحا	10
* مفهوم الشخصية من المنظور السيكولوجي	12
* من المنظور الاجتماعي	12
* من المنظور النقدي الغربي	14
* من المنظور الفلسفي	15
IV. أهمية الشخصية	17
الجانب التطبيقي	
الفصل الأول: البعد الجسمي للشخصيات الروائية في الرواية	
البعد الجسمي	24
الشخصيات في البعد الجسمي	24
الشخصية الثانوية	30
الفصل الثاني: البعد النفسي للشخصية الروائية في الرواية	
شخصية فاطمة في البعد النفسي	45
شخصية فاطمة وفق قواعد علم النفس عند "فرويد"	52

الفصل الثالث: البعد الاجتماعي للشخصية الروائية للرواية	
الشخصية عند فيليب هامون	68
الشخصيات في البعد الاجتماعي في رواية تشرفت برحيلك	75
الفصل الرابع: البعد الإيديولوجي للشخصيات الروائية في الرواية	
صراع الشخصيات	89
أثر العشرية السوداء على تصرف الشخصيات في الرواية	97
خاتمة	108
الملحق	111
قائمة المصادر والمراجع	115
الفهرس	